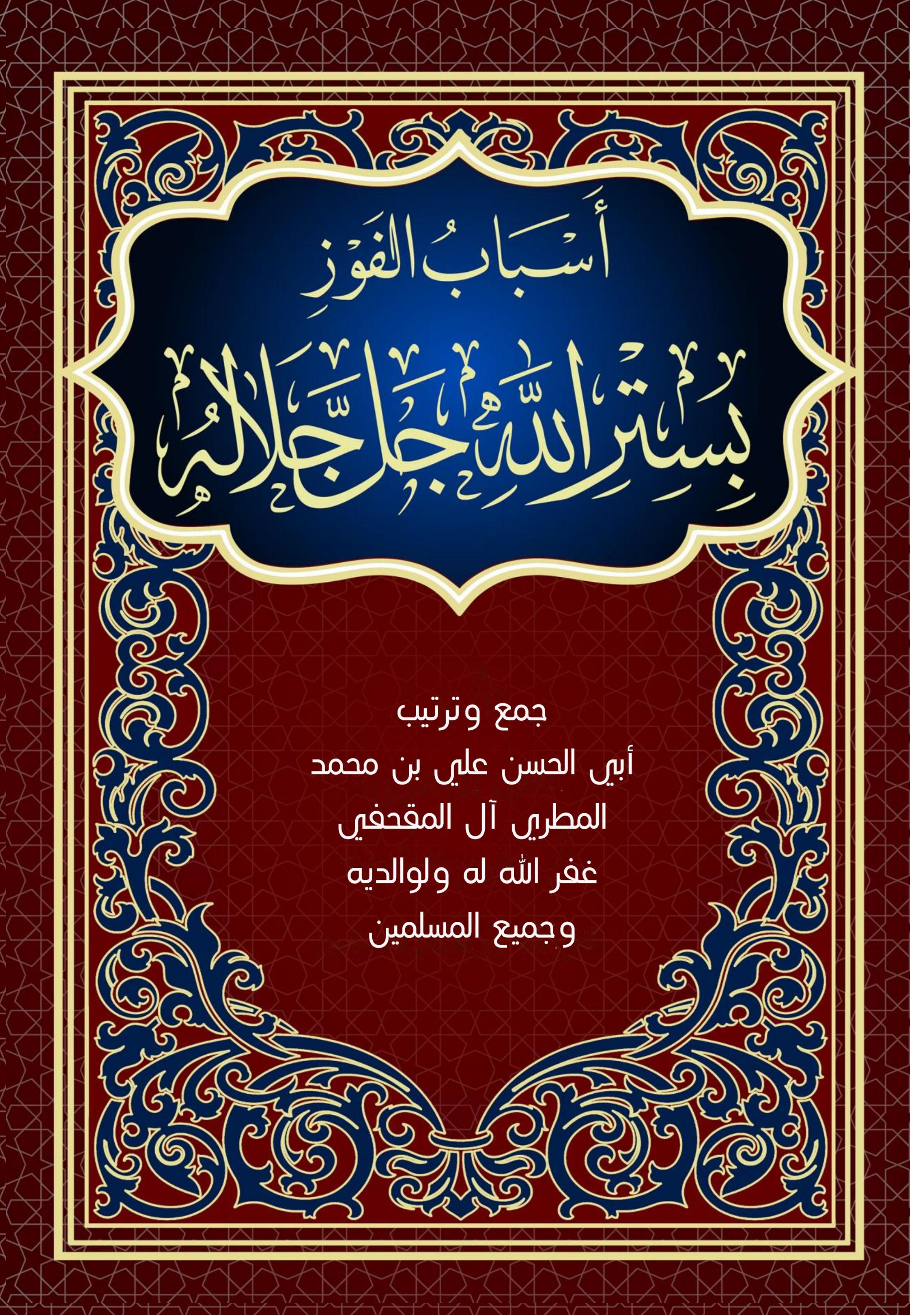

أَسبابُ الفوزِ
بِسِترِ اللهِ جلَّ جلالُهُ
جمع وترتيب
أبي الحسن علي بن محمد
المطري آل المقحفي
غفر الله له ولوالديه
وجميع المسلمين

أَسَبابُ الفَوْزِ

بِسْمِ اللهِ جَلَّ جَلالُهُ

أَسَبابُ الفَوْزِ

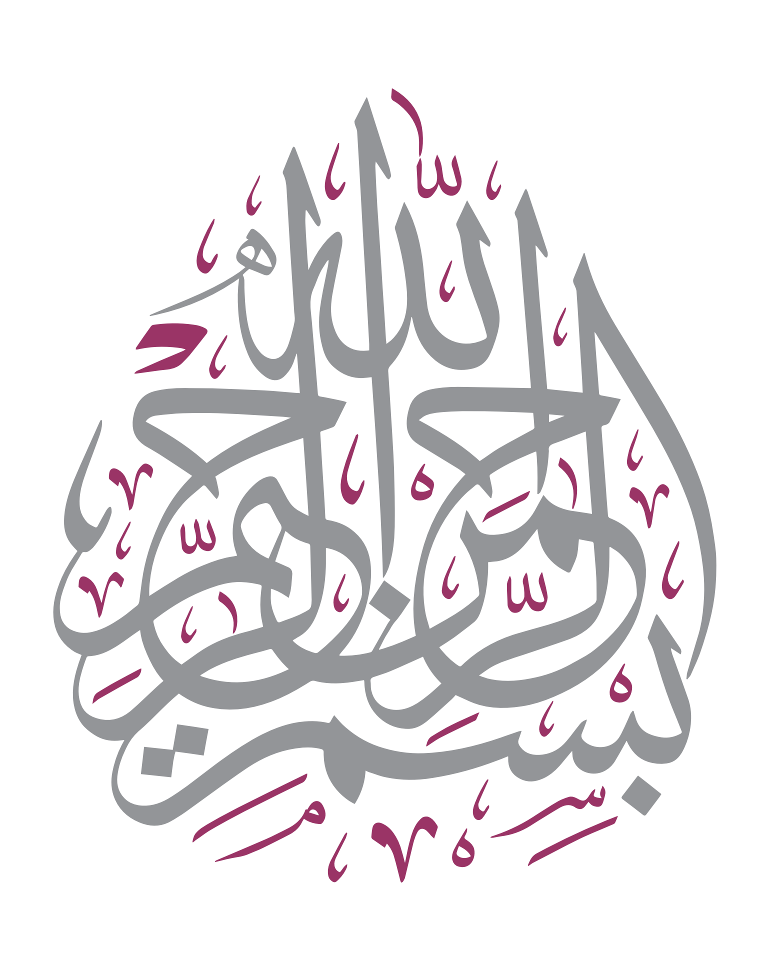
بِسِتْرِ اللهِ جَلَّ جَلالُهُ

تأليف

الفقير إلى عفو ربه

الراجي رحمة ربه

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين


بسم الله الرحمن الرحيم

أسباب الفوز بستر الله ﷻ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

إن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

أيها الأخوة: هذه المقدمة كثيرًا ما تسمعونها من الخطباء والمحاضرين، وتقرؤونها في افتتاحيات كتب بعض المؤلفين، وتسمى هذه المقدمة خطبة الحاجة؛ لأنها مفتاح يفتتح بها المتكلم الحديث عن حاجة من حاجاته؛ كموعظة أو خطبة أو تعليم أو جواب أو نكاح، أو غير ذلك.

وقد ناسب ذكر هذه المقدمة بين يدي الحاجات بهذه الأصول الكلية؛ فحمد الله ثناء على نعمه ومنها الكلام أو الكتابة، أو غير ذلك.

والاستعانة بالله طريق إلى التوفيق في القول، والعبد مفتقر إلى ذلك.

والعصيان من أسباب الخذلان، فيحتاج المسلم إلى طلب المغفرة والهداية حتى يظفر بمطلوبه.

وشرور النفس، وسيئات الأعمال تقف في طريق التوفيق، ومن شرور النفس: العجب بقدرة النفس، فيحتاج العبد الذي يريد الوصول إلى النُّجح في حاجته إلى الاستعاذة بالله من شر نفسه وسيء عمله.

ولما كان المتكلم أو الكاتب سيقف داعيًا للحق فيحسن به أن يبين أن أصدق الكلام كلام الله، وأحسن الهدي الهدي الذي جاء به رسول الله؛ ليشير ذلك إلى أنه ينبغي دعوة الناس وفق كلام الله، وهدايتهم بما يتوافق مع هدي رسول الله، وأن على الناس سماع كلام الله واتباعه؛ لأنه أصدق الكلام، وسماع كلام رسوله والعمل به؛ لأنه أحسن الكلام البشري. وعليه فإن موضوع الستر من الأهمية بمكان لذا يحرص الإسلام حرصًا كبيرًا على القضاء على الفاحشة والرذيلة في المجتمع ومن جملة وسائله الفاعلة لذلك ستر العورات المهيجة للغرائز والمثيرة لها، وبذلك يستبق الوقوع فيها بخطوات عديدة وهذه طريقة مجدية جدًا في طريق المحافظة على العفة، وذلك بأن طلب من الإنسان ان يستر عورته عن الآخرين ويغض بصره أيضًا عن عوراتهم وبذلك يكون المجتمع مجتمعا نظيفا تشع منه نور الفضيلة، ولقد أمرنا الله بالستر والعفاف وأمرنا بغض البصر.

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور:٣٠].

أي: أرشد المؤمنين، وقل لهم: الذين معهم إيمان، يمنعهم من وقوع ما يخل بالإيمان: ﴿يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور:٣٠] عن النظر إلى العورات وإلى النساء الأجنبيات، وإلى المردان، الذين يخاف بالنظر إليهم الفتنة، وإلى زينة الدنيا التي تفتن، وتوقع في المحذور.

﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور:٣٠] عن الوطء الحرام، في قبل أو دبر، أو ما دون ذلك، وعن التمكين من مسها، والنظر إليها. ﴿ذَٰلِكَ﴾ الحفظ للأبصار والفروج ﴿أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ أطهر وأطيب، وأنمى لأعمالهم، فإن من حفظ فرجه وبصره، طهر من الخبث الذي يتدنس به أهل الفواحش، وزكت أعماله، بسبب ترك المحرم، الذي تطمع إليه النفس وتدعو إليه، فمن ترك شيئا لله، عوضه الله خيرا منه، ومن غض بصره عن المحرم، أنار الله بصيرته، ولأن العبد إذا حفظ فرجه وبصره عن الحرام ومقدماته، مع داعي الشهوة، كان حفظه لغيره أبلغ، ولهذا سماه الله حفظا، فالشيء المحفوظ إن لم يجتهد حافظه في مراقبته وحفظه، وعمل الأسباب الموجبة لحفظه، لم ينحفظ، كذلك البصر والفرج، إن لم يجتهد العبد في حفظهما، أوقعاه في بلايا ومحن، وتأمل كيف أمر بحفظ الفرج مطلقا، لأنه لا يباح في حالة من الأحوال، وأما البصر فقال: ﴿يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور:٣٠] أتى بأداة " من " الدالة على التبعيض، فإنه يجوز النظر في بعض الأحوال لحاجة، كنظر الشاهد والعامل والخاطب، ونحو ذلك. ثم ذكرهم بعلمه بأعمالهم، ليجتهدوا في حفظ أنفسهم من المحرمات.

وورد النهي عن غض البصر في الأحاديث النبوية الشريفة، منها أن النبي ﷺ قال: «كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطى، والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج ويكذبه»،

فيجب على المسلم ان يكون قويا في دينه الدين رأس المال فاستمسك به فضياعه من أعظم الخسران أسباب الفوز بستر الله جل جلاله.

معنى السَّتر لغةً واصطلاحًا:

معنى السَّتر لغةً:

السَّتْرُ: تَغَطية الشَّيء، وهو مَصْدَرُ سَتَر الشَّيء يَسْتُرُه ويَسْتِرُه سَتْرًا وسَتَرًا، أي: غَطَّاهُ أو أخفاهُ.

وكلُّ شَيْء سَتَرْتَه فالشَّيء مَسْتُور، والذي تَسْتُرُه به سِتْرٌ له.

والسِّتْرُ والسُّتْرَةُ والمسْتَرُ والسِّتَارُ والسِّتَارَةُ: ما يُسْتَتَرُ به، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾﴾ [الكهف:٩٠]. (انظر: ((المفردات في غريب القرآن)) للراغب الأصفهاني (١/ ٣٩٦)، ((جمهرة اللغة)) لابن دريد (١/ ٣٩٢)، ((تهذيب اللغة)) للأزهري (١٢/ ٢٦٥)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ١٣٢)، ((المحكم والمحيط الأعظم)) لابن سيده (٨/ ٤٦٥، ٤٦٦)، ((مختار الصِّحاح)) للرازي (١/ ١٤٢)، ((لسان العرب)) لابن منظور (٤/ ٣٤٣، ٣٤٤)، ((القاموس المحيط)) للفيروز آبادي (١/ ٤٠٤)، ((تاج العروس)) للزبيدي (١١/ ٤٩٨).

معنى السَّتر اصطلاحًا:

المراد بالسَّتْر هنا (السَّتْرُ على المسلم إن وقع في معصية، شريطة أن لا يعلنها ويجهر بها) (انظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (٥/ ١١٧)، و((التَّرغيب والتَّرهيب)) للمنذري (٣/ ٢٣٧))

وقيل: (السَّتْرُ هو: إخفاء العيب، وعدم إظهاره، فمن كان معروفًا بالاستقامة، وحصل منه الوقوع في المعصية، نُوصِح وسُتِر عليه) ((فتح القوي المتين) للشيخ عبد المحسن العباد (ص ١٢٢)).

ستر العيوب:

فقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بستر العورات، وتغطية العيوب، وإخفاء الهنات والزلات، ويتأكد ذلك مع ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس معروفًا بالأذى والفساد، فمن مقتضى أسمائه الحسنى الستر فهو ستِّير، يحب أهل الستر.

ولقد رأى النبي ﷺ رجلًا يغتسل بالبراز(الخلاء) بلا إزار، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال ﷺ: «إِنَّ اللهَ – عَزَّ وَجَلَّ – حَيِيٌّ سِتِّيرٌ، يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ». (رواه أبو داوود (٤٠١٢) والنسائي (٤٠٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٥٦).

الجزاء من جنس العمل:

إن الجزاء من جنس العمل، فمن كان حريصًا على ستر المسلمين في هذه الدنيا إذا زلوا أو وقعوا في الهفوات، فإن الله – تعالى- يستره في موقف هو أشد ما يكون احتياجًا إلى الستر والعفو حين تجتمع الخلائق للعرض والحساب،

ففي الحديث الصحيح: «وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (رواه البخاري (٢٣١٠) ومسلم (٢٥٨٠).

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (رواه مسلم (٢٥٩٠)).

الطاعات ستر من النار:

إن الطاعات والقربات بمثابة ستر لصاحبها من النار ففي الحديث: «مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَتِرَ مِنْ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ» (رواه مسلم (١٠١٦)).

وأعظم لباس يستتر به العبد لباس التقوى قال – تعالى-: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾ [الأعراف:٢٦]

ولما كان الستر من الصفات المحمودة فقد سعى الشيطان وأولياؤه إلى كشف السَّوْءَات والعورات، ولذلك قال سبحانه وتعالى محذرًا: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧﴾ [الأعراف:٢٧].

إن انتشار دعوات العري والخلاعة والاختلاط دليل فساد العقل والفطرة، وموافقة الشيطان، ومخالفة أوامر الرحمن.

الشريعة تحث على الستر:

لم تتشوف الشريعة لكثرة عدد المحدودين والمرجومين، فالتهمة لا تكون إلا ببينة أوضح من شمس النهار؛ ولذلك شرع إقامة حد القذف على من رمى مؤمنًا بغير بينة شرعية، ونهينا عن هتك الستر فقال – تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور:١٩]، وقال في قصة الإفك: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ [النور:١٢]، وقال: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النور:١٦].

ولما أتى هزال بماعز الأسلمي لإقامة الحد عليه قال له النبي ﷺ: «لَوْ سَتَرْتَهُ بِثَوْبِكَ كَانَ خَيْرًا لَكَ»، (رواه أبو داود (٤٣٧٧) وأحمد (٢١٩٤٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٧٩٠).

الحدود كفارات والستر أولى:

إن الحدود كفارة لأهلها، ومع هذا استحب أهل العلم لمن أتى ما يستوجب الحد أن يستر على نفسه، ويتوب فيما بينه وبين ربه، ويكثر من الحسنات الماحية، فعن عبد الله رضي الله عنه قال: "جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني عالجت امرأة في أقصى المدينة، وإني أصبت منها ما دون أن أمسها استمتاع محرم بغير جماع فأنا هذا فاقض فيَّ ما شئت، فقال عمر: لقد سترك الله لو سترت نفسك، قال: فلم يرد النبي ﷺ شيئًا، فقام الرجل فانطلق فأتبعه النبي ﷺ رجلًا دعاه، وتلا عليه هذه الآية: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود:١١٤]، فقال رجل من القوم: يا نبي

الله هذا له خاصة؟ قال: «بَلْ لِلنَّاسِ كَافَّةً» (رواه البخاري (٥٠٣) ومسلم (٢٧٦٣) واللفظ له).

وهنا لم يستفسر منه النبي ﷺ، ولم يسأله عما اقترفه تحديدًا.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنْ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ»، (رواه البخاري (٥٧٢١) ومسلم (٢٩٩٠)).

فليس عندنا كرسي اعتراف، ولا صناديق غفران، فمن اقترف ذنبًا، وهتك سترًا؛ فليبادر بالتوبة من قريب، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، وتأخير التوبة ذنب يجب التوبة منه.

الستر صفة الأنبياء والصالحين:

إن الستر صفة يحبها الله عز وجل، وهي صفة يتحلى بها الأنبياء والمرسلون ومن تابعهم بإحسان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا، لَا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ، فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَالُوا: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسَتُّرَ إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ، إِمَّا بَرَصٌ، وَإِمَّا أُدْرَةٌ، وَإِمَّا آفَةٌ، وإِنَّ اللهَ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى، ....»، (رواه البخاري (٣٢٢٣)). الحديث.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان إذا أراد حاجة لا يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض. (رواه أبو داود (١٤) والترمذي (١٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٦٥٢)).

وعن أبي السمح رضي الله عنه قال: كنت أخدم النبي ﷺ فكان إذا أراد أن يغتسل قال: «وَلِّنِي قَفَاكَ»، وأنشر الثوب فأستره به. (رواه الإمام مالك في الموطأ (٤٠) وأبو داود (٣٧٦) والنسائي (٢٢٤) وصححه الألباني في تحقيق سنن أبي داود (٣٦٢)).

وعن أبي بكر رضي الله عنه قال: "لو أخذت سارقًا لأحببت أن يستره الله، ولو أخذت شاربًا لأحببت أن يستره الله عز وجل". (رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٨٠٨٢) (ج ٥/ ص ٥٤٧٤)).

وعن مريم بنت طارق أن امرأة قالت لعائشة رضي الله عنها: يا أم المؤمنين إن كَريًّا هو من يؤجر دابته أخذ بساقي وأنا محرمة، فقالت عائشة: حِجرًا حِجرًا حجرًا أي: سترًا وبراءة من ذلك وأعرضت بوجهها، وقالت: يا نساء المؤمنين، إذا أذنبت إحداكن ذنبًا فلا تخبرن به الناس، ولتَستَغفِرَنَّ الله، ولتَتُب إليه؛ فإن العباد يُعَيِّرون ولا يُغَيِّرون، والله تعالى يُغَيِّرُ ولا يُعَيِّرُ. "(رواه إسحاق ابن راهويه في مسنده (١٦٦٠) (ج ٣/ ص ٩٥٣)).

وعن الضحاك في قوله – تعالى-: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان:٢٠]، قال: أما الظاهرة فالإسلام والقرآن، وأما الباطنة فما يستر من العيوب. (الدر المنثور (ج ٦/ ص ٥٢٦)).

وعن أبي الشعثاء قال: كان شرحبيل بن السمط على جيش فقال: إنكم نزلتم بأرض فيها نساء وشراب، فمن أصاب منكم حدًا فليأتنا حتى نطهره، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب إليه: "لا أم لك تأمر قومًا ستر الله عليهم أن

يهتكوا ستر الله عليهم (رواه عبد الرزاق في مصنفه (٩٣٧١) (ج ٥/ ص ١٩٧))" (موقع الشبكة الإسلامية).

من آثار السلف عن الستر:

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: خرجت مع عمر رضي الله عنه ليلة في المدينة، فبينما نحن نمشي إذ ظهر لنا سراج فانطلقنا نؤمه أي نقصده، فلما دنونا منه إذا باب مغلق على قوم لهم أصوات ولغط، فأخذ عمر بيدي وقال: أتدري من هذا؟ قلت: لا، فقال: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف، وهم الآن شرب فما ترى؟ قلت: أرى أنا قد أتينا ما نهانا الله عنه قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات:١٢]، فرجع عمر رضي الله عنه وتركهم (رواه الحاكم في المستدرك (٨١٣٦) (ج ٤/ ٤١٩) والبيهقي (١٧٤٠٣) (ج ٨/ ص ٣٣٣))، وهذا يدل على وجوب الستر، وترك التتبع.

وقد قال رسول الله ﷺ لمعاوية: «إِنَّكَ إِنْ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ، أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ» (رواه أبو داود (٤٨٨٨) وابن حبان (٥٧٦٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٩٥))، وقال ﷺ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلْ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعُ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعْ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»، (رواه أبو داود (٤٨٨٠) وأحمد (١٩٧٩١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٨٤)).

احذر مواطن التهم:

وكما أن المطلوب التستر وعدم كشف أستار الناس فإن على الإنسان أيضًا أن يتقي مواضع التهم؛ صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن، ولألسنتهم عن

الغيبة، فإنهم إذا عصوا الله بذكره وكان هو السبب فيه كان شريكًا قال الله – تعالى-: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٨].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ!» قيل: يا رسول الله وكيف يلعنُ الرجلُ والدَيْه؟! قَالَ: «يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ»، (رواه البخاري (٥٦٢٨) ومسلم (٩٠)).

وعن علي بن الحسين رضي الله عنه عن صفية بنت حيي رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ معتكفًا، فأتيته أزوره ليلًا فحدثته، ثم قمت فانقلبت، فقام معي ليقلبني – وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد –، فمر رجلان من الأنصار فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا، فقال النبي ﷺ: «عَلَى رِسْلِكُمَا؛ إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ»، فقالا: سبحان الله يا رسول الله، قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا – أَوْ قَالَ – شَيْئًا»، (رواه البخاري (٣١٠٧) ومسلم (٢١٧٥)).

ومر عمر رض الله عنه: برجل يكلم امرأة على ظهر الطريق فعلاه بالدرة فقال: يا أمير المؤمنين إنها امرأتي! فقال: هلا حيث لا يراك أحد من الناس؟ (بتصرف يسير من كتاب إحياء علوم الدين (ج ٢/ ص ٢٠١-٢٠٢))".

إن الستر يطفئ نار الفساد، ويشيع المحبة في الناس، ويورث الساتر سعادة وسترًا في الدنيا والآخرة، كما أنه يثمر حسن الظن بالله – تعالى- وبالناس، وكتم الأسرار نوع من الستر يُحمَدُ عليها صاحبها من الخالق والمخلوق، فاستعن بالله

على التحلي بهذه الفضيلة فهي أغلى من الجوهرة النفيسة، يدرك ذلك كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

نسألك اللهم أن توفقنا لما تحب وترضى، وأن تسترنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا، ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا، آمين اللهم آمين، والحمد لله ب العالمين.

الستر الجميل:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيِّدنا محمد، وعلى آلة وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا، وبعد:

ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول الله ﷺ، يقول: «إن الله يُدنِي المؤمنَ، فيضع عليه كنَفَه ويسترُه، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم، أيْ ربِّ، حتى إذا قرَّره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلَك، قال: سترتُها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون، فيقول الأشهاد: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾ [هود:١٨]» [هود:١٨]. (البخاري:٢٤٤١، ومسلم:٢٧٦٨).

انها عباراتُ (الستر الجميل) التي استوقفَتْني في هذا الحديث، أولُها: «فيضع عليه كنَفَه ويستره»، وثانيها: «سترتُها عليك في الدنيا»، فكم هو عظيمٌ ذلك الستر؟ وكم هو جميل ذلك اللباس الذي يُلبِسه ربنا ﷻ لعباده؟

قال جل في علاه: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان:٢٠]؛ فالنِّعم الظاهرة نعمةُ الإسلام والقرآن، والنعمة الباطنة نعمة الستر الجميل، حتى جعله لباسًا يواري عورة ابن آدم وعيبه، فقال ﷻ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾ [الأعراف:٢٦].

ويأبى بعض الخَلْق إلا أن يكشفَ ذلك الستر، وينزع ذلك الرداء، فيسقط منه الحياء؛ فعند أبي داود بسند صحيح من حديث يعلى بن أمية: أن رسولَ الله ﷺ رأى رجلًا يغتسل بالبَراز بلا إزارٍ، فصعِد المنبر، فحمِد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**إن الله ﷻ حَيِي ستِّير، يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر**»(أبو داود:٤٠١٢، والنسائي:٤٠٦، واحمد:١٧٩٧٠). ، هكذا بعض الناس لا يهوى ستر الله عليه، فيسعى إلى خلعه ونزعه وتمزيقه، كما روى ابن وهب بسنده عن أنس قال: "أُتِي عمر بن الخطاب بسارق، فقال: والله ما سرقت قط، فقال له عمر: كذبتَ ورب عمرَ، ما أخذ الله عبدًا عند أول ذنب، فقطَعه". (المحلى لابن حزم-ج١١-ص١٥٨).

نعمة عظيمة أن يسترك الله بستره الجميل، فلا تفضح؛ روى البيهقي في الشُّعب: "أن بكر بن عبد الله المزني قال لأبي تميمة الهجيمي قال له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحتُ بين نعمتين: بين ذنب مستور، وثناءٍ لا يعلم به أحدٌ من هؤلاء الناس، لا والله ما بلغته ولا أنا كذلك".

- لذلك ينبغي عليك أيها المسلم أن تعمل على ما يحبه الله، فتستر الناس بالستر الجميل الذي يحبه ربنا ﷻ، فتستر نفسَك من العيوب والذنوب، وتستر

أهلك وأولادك وعِرْضك، وتستر بيتك وأسرتك، وتستر جارك وقريبك، وتستر عورات المسلمين وغير المسلمين، ولا تكُنْ من أولئك القنَّاصين الذين يبحثون عن فضائح الخَلْق فينشرونها بين الناس.

يروى أن مَلِكًا فيه عرج وعور، أراد أن تُرسَم صورة له تُخفِي عيوبه، فأرسل إلى الفنَّانين والرسَّامين فأبَوا ذلك، فكيف يرسُمون لوحةً له دون إظهار عيبه الظاهر (العرج والعور)؟ فقام أحد الرسَّامين وقال: "أرسمها لك"، فرسمه وبيده بندقية الصيد، وقد أغمض عينه العوراء، وثنَى قدمه العرجاء، وكأنه مستندٌ لاصطياد هدفه.. هكذا ينبغي أن يكون المسلمُ.

روى البخاري في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن موسى كان رجلًا حييًّا ستيرًا، لا يُرَى من جلده شيء، استحياءً منه، فآذاه مَن آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده، إما برص، وإما أُدْرة، وإما آفة، وإن الله أراد أن يُبَرِّئه مما قالوا لموسى.. فخلا يومًا وحده فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه، وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجرُ، ثوبي حجرُ، حتى انتهى إلى ملأٍ من بني إسرائيل، فرأوه عريانًا أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر فأخذ ثوبه، فلبسه وطفق بالحجر ضربًا بعصاه، فوالله إن بالحجر لنَدَبًا من أثر ضربه ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا، فذلك قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ٦٩ ﴾ [الأحزاب:٦٩]» (البخاري:٣٤٠٤).

إنها من أعظم النِّعم أن تنالَ ستر الله عليك.. فماذا لو كشَف سترَه عنك؟ ماذا لو كانت للذنوب رائحةٌ؟ هل يستطيع بعضنا أن يجالس بعضًا؟ ماذا لو كُتِبت ذنوبنا على جباهِنا فاطَّلع عليها الناس؟ ماذا لو كتبت على جدران بيوتاتِنا الذنوب التي يقترفُها هذا البيت أو ذاك؟

والله لولا ستر الله علينا ما جالَسَنا أحدٌ. كم من أسرةٍ ستحطم لو كُشِف ستر الله؟ كم من زوجة ستُطلَّق لو كُشِف ستر الله؟ كم من صاحبٍ سيفارق صاحبه لو كُشِف ستر الله؟ كم من خليلٍ سيترك خليله لو كُشِف ستر الله؟ كم من أرحام ستقطع لو كُشِف ستر الله؟ كم من عَلاقة إنسانية ستمزَّق لو كُشِف ستر الله؟

ذكَر ابن قدامة في كتابه التوَّابين قصةً في بني إسرائيل: أن موسى عليه السلام خرج يومًا يستسقي، فلم يرَ في السماء قزعة -أي سحابة- واشتد الحرُّ، فقال موسى: "يا رب، اللهم إنا نسألك الغيث فاسقِنا، فقال الله جل وعلا: يا موسى، إن فيكم عبدًا يُبارِزُني بالذنوب أربعين عامًا، فصِحْ في القوم ونادِ إلى العباد: الذي بارز ربه بالذنوب والمعاصي أربعين عامًا أن اخرُج، فقال موسى: يا رب، القوم كثير، والصوت ضعيف، فكيف يبلغهم النداء؟! فقال الله: يا موسى، قل أنتَ، وعلينا البلاغ، فنادى موسى بما استطاع، وبلغ الصوت جميع السامعين الحاضرين، فما كان من ذلك العبد العاصي -الذي علم أنه المقصودُ بالخطاب، المرقوم في الكتاب أنه يُنادى بعينه بين الخلائق، فلو خرج من بين الجموع، عُرِف وهتك ستره، وانفضحت سريرته وكشفت خبيئته-.

فما كان منه إلا أن أطرق برأسِه وأدخل رأسَه في جيب درعه أو قميصه، وقال: يا رب، اللهم إني أتوب إليك فاسترني، اللهم إني أتوب إليك فاسترني،

اللهم إني أتوب إليك فاسترني، فما لبث موسى ومَن معه إلا أن أظَلَّهم الغيمُ، وانفتحت السماء بمطر كأفواهِ القِرَب، فقال موسى: يا رب، سقيتَنا وأغثتَنا ولم يخرج منا أحدٌ، فقال الله: يا موسى، إن مَن منعتُكم السقيا به تاب وسألني وأعطيته، وسقيتكم بعده، فقال موسى: يا رب، أرني ذلك الرجل، فقال الله ﷻ: يا موسى، سترتُه أربعين عامًا وهو يعصيني، أفأفضحه وقد تاب إليَّ وبين يدي؟"(ابن قدامة: ص٥٥).

قال الإمام ابن القيم: "للعبد ستراِن: ستر بينه وبين ربه، وآخر بينه وبين الخَلْق، فمن هتك الستر الذي بينه وبين الله هتك الله ستره بين الخَلْق".

اللهم استُرْنا ولا تفضحنا، وعافِنا لا تبتلِنا، ونجِّنا لا تهلكنا، واغفر لنا لا تؤاخذنا..، والله من وراء القصد.. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

كيف أحوالنا لولا ستر الله علينا؟!

عَنْ عِمَارَةَ بْنِزَاذَانَ؛ قَالَ: قَالَ لِي مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ: " يَا بُنَيَّ ! لَيْسَ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْ أَحَدٍ؛ إِلَّا بِالْعَافِيَةِ، وَلَوْ كَانَتْ لِلذُّنُوبِرِيحٌ مَا جَلَسَ أَحَدٌ إِلَيْنَا" (إغاثة اللهفان ج١ص٨٥).

لولا ستر الله لافتضحنا، والإنسان في عافيه ما دام الله ساترا عليه ولم يجاهر بذنوبه عن أبي هُرَيْرَةَ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ «**كُلُّ أُمَّتِى مُعَافًى إِلاَّ الْمُجَاهِرِينَ وَإِنَّ مِنَ الإِجْهَارِ أَنْ يَعْمَلَ الْعَبْدُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحُ قَدْ سَتَرَهُ رَبُّهُ فَيَقُولُ يَا فُلاَنُ قَدْ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ فَيَبِيتُ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ**» (البخاري:٦٠٦٩، ومسلم:٢٩٩٠بإختلاف يسير).

قال شيخ الإسلام في الفتاوى ج١٤ص٤٦٥ " فَمَا دَامَ الذَّنْبُ مَسْتُورًا فَعُقُوبَتُهُ عَلَى صَاحِبِهِ خَاصَّةً وَإِذَا ظَهَرَ وَلَمْ يُنْكَرْ كَانَ ضَرَرُهُ عَامًّا فَكَيْفَ إذَا كَانَ فِي ظُهُورِهِ تَحْرِيكٌ لِغَيْرِهِ إلَيْهِ "

ومن تحدث بذنوبه ذهبت عنه العافية وطولب بما اقترفت يداه.

والستر في الدنيا دليل وعلامة على الغفران في الآخرة عن عبدالله بن عمر قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ فَيَقُولُ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا فَيَقُولُ نَعَمْ أَيْ رَبِّ حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِ هِوَ رَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ

الْيَوْمَ..». "(البخاري:٢٤٤١). وقد وصف النبي ﷺ ربه سبحانه بالستير فقال: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ»، (النسائي وأبو داود وصححه الألباني ٤٠٤).. وهنا يأتي السؤال:

ماذا سيكون حالنا لو كان للذنوب رائحة تخرج منا على قدر معاصينا؟

ماذا سيكون حالنا لو كتب على جباهنا المعاصي التي ارتكبناها؟

ماذا سيكون حالنا لو وجد على أبواب بيوتنا شر حالما فعلناه؟

ماذا سيكون حالنا لو علم الناس بما ستره الله علينا من الذنوب؟

اللهم أدم علينا سترك ولا تفضحنا يوم العرض عليك.

ستر الله عزّ وجلّ لعباده

لا ريبَ أنَّ سترَ العُيوبِ والذنوب والأخطاء نعمةٌ من نِعَمِ الله الجليلةِ على عِبادِه..

فلو أنه عزَّ وجَلَّ أبْدَى عُيُوبَ الخلقِ لفَضَحَهم وهَتَك أسْتارَهم وكَشفَ عوراتهم ولكنّه جلَّ جلالُه أرحمُ الراحِمين، ويُمهِلُ العاصي والشاردَ والغافل؛ فلا يريد أن يَفضَحَ عِبادَه؛ بل يريدُ أن يتوبَ عليهم ليتوبوا، فإن تابوا وأنابوا عفَا عنهم وصفح، فغَفرَ سيئاتهم وتجاوز عن هفواتِهم، فالله أرحمُ بالعَبدِ من نفسِه؛ فكم مِن مَوضعٍ للمعصيةِ تهافتَ العبدُ عليه فسَترَه الله. ولولا فضلُه ورحمتُه لصارَ كثيرٌ من الأنقياءِ مَفضُوحِين بين النّاس تتبعُهم الهمزاتُ والطعنات، وتُلاحِقُهم اللعناتُ وتقذفهم أصابعُ الاتهامِ بالحق والباطل. فالعاصي إذا انكشفَ أمرُه ضاقَتْ عليه الأرضُ بما رَحُبَت، وتبرَّأ منه الأقربُون وتجنَّبَه الناسُ أجمعون.

قال ﷺ: «انَّ الله عزّ وجلّ حَيِي ستِّير يحبّ الحياء والستر». (النسائي وأبو داود وصححه الألباني ٤٠٤).

الله سبحانه سِتِّير يحب الستر ويستر عباده في الدنيا والآخرة.

يستر الجراثيم التي تحيط بك من كلّ جانب في جوّ الهواء حتّى يمكن لك أن تتمتع بالأكل والشرب والملبس وغير ذلك... فمثلا لو أظهر الله تعالى الميكروبات في كأس الماء لما استطعت أن تشرب منه ولو جرعة؟ أو أظهر ما

في ملبسك من حشرات لنزعته؟ أو بيّن لك ما في الأكل من جراثيم والله ما أكلت؟

لولا ستره للملائكة والجنّ الذين هم من حولنا لما استطعنا العيش بأمان؟

الله يحب الستر فلماذا اليوم نهتك هذا الستر؟ هل فكّرت يوما كيف يكون العالم بدون ستر الله لنا؟ ماذا لو كانت للذنوب روائح تخرج منا على قدر معاصينا؟ ماذا لو كتب على جباهنا المعصية التي ارتكبناها؟.. حتما كثيرا من الخراب سيحل بنا. لا شك أن الحياة ستتوقف.

ستر جميع الذنوب والمعاصي بالتوبة بمجرّد نيّة التوبة يتوب عليك ولا يفضحك حتّى وان كنت مصرّا على المعصية لا يفضحك من أوّل وهلة.

سرق أحد الرّجال فأخذوه الى عمر بن الخطاب ﵁، فقال الرّجل: أقسم بالله هذه أول مرة، فقال عمر: كذبت ان الله لا يفضح عباده من أول مرة. ولقد تبيّن أنّ هذا الرجل قد سرق العديد من المرات (أخرجه علي بن حجر في أحاديثه (٩٤) عن إسماعيل بن جعفر واللفظ له، وعفان ابن مسلم في احاديثه (٨٩)، وأبو داود في الزهد (٥٤)).

ومن ثمرات ستر الله لعبده يوم القيامة

١- يسترك يوم القيامة: عن النّبيّ ﷺ قال: «**لا يستر عبدٌ عبدًا في الدنيا الا ستره الله يوم القيامة**» (صحيح مسلم:٢٥٩٠).

٢- يستر عورتك ولا يفضحك: قال ﷺ: «**من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة**» (رواه ابن ماجه:٢٠٧٩).

٣- الستر ثوابه الجنة: قال ﷺ: «**يدنو أحدكم من ربّه فيقول: أعملتَ كذا وكذا؟ فيقول: نعم. ويقول: عملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم. فيقرره، ثمّ يقول: انّي سترتُ عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم**» (رواه البخاري:٧٥١٤).

وعن العلاء بن بذر قال: "لا يعذب الله قومًا يسترون الذنوب" (مكارم الأخلاق للخرائطي (١٥٣/ ١) (٤٥٠)).

وفي حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال النّبيّ ﷺ: أي للمنافقين: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان في قلبه: لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من يتبع عورة مسلم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه الله ولو في جوف بيته**» (أخرجه أحمد (٤٢٠/ ٤)، وأبو داود (٤٨٨٠)، وقال الألباني في (٤٨٨٠) حسن صحيح).

ستر المسلم

قال تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [النساء:١٤٨]، فكل ما كان سيئًا من القول، فالجهر به لا يحبُّه الله عزَّ وجلَّ لأن هذا فيه نشرٌ للرذيلة بين العباد، فإذا أذنب شخص ذنبًا أو ارتكب كبيرةً؛ كأن قتَل نفسًا بغير حق، أو زنا أو سرق، فباب التوبة مفتوح للعبد؛ لقول النبي ﷺ: «**إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها**» [أخرجه مسلم (٤/ ٢١١٣، رقم ٢٧٥٩)].

تعريف الستر: الستر لغة: تغطية الشيء، وستَر الشيء يستُرُه سترًا؛ أي: أخفاه، وتستَّر؛ أي: تغطَّى، وفي الحديث: «**إن الله حييٌّ سِتِّير يحبُّ الحياء والستر**» [أخرجه أحمد (٤/ ٢٢٤، رقم ١٧٩٩٩)، وأبو داود (٤/ ٣٩، رقم ٤٠١٢)، والنسائي (١/ ٢٠٠، رقم ٤٠٦). والبيهقي (١/ ١٩٨، رقم ٩٠٨)].؛ أي: من شأنه وإرادته حبُّ الستر والصون لعباده، ويُقال: "رجل ستور وسِتِّير"؛ أي: عفيف ["مقاييس اللغة" (٣/ ١٣٢)، و"مفردات الراغب" (٢٢٩)، و"الصحاح" (٢/ ٦٧٧)، و"النهاية" (٢/ ٣٤١)، و"لسان العرب" (٤/ ٣٤٣ ٣٤٥)].

الستر اصطلاحًا: ستر المسلم هو تغطية عيوبه وإخفاء هناته ["الترغيب والترهيب"؛ للمنذري (٣/ ٢٣٧)]، وعرَّفه ابن حجر رحمه الله عند شرح قوله ﷺ: «مَن ستر مسلمًا» [سبق تخريجه]. قائلًا: "أي: رآه على قبيحٍ فلم يُظهِره؛ أي:

للناس، وليس في هذا ما يقتضي ترك الإنكار عليه فيما بينه وبينه، ويحمل الأمر في جواز الشهادة عليه بذلك على ما إذا أنكر عليه ونصحه فلم ينتهِ عن قبيحِ فعلِه ثم جاهَر به، كما أنه مأمور بأن يستتر إذا وقع منه شيء، فلو توجَّه إلى الحاكم وأقرَّ لم يمتنع ذلك، والذي يظهر أن الستر محله في معصية قد انقضَتْ، والإنكار في معصية قد حصل التلبُّس بها، فيجب الإنكار عليه، وإلا رفَعَه إلى الحاكم، وليس من الغيبة المحرمة، بل من النصيحة الواجبة" ["فتح الباري" (٥/ ٩٧)]، وعرَّفه النووي ﵀ بأنه: "الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممَّن ليس هو معروفًا بالأذى والفساد" ["شرح النووي على صحيح مسلم" (١٦/ ١٣٥)، وانظر: "الآداب الشرعية" (١/ ٢٣٥)].

حث الإسلام على الستر على المسلمين

لقد كثرت النصوص التي تحثُّ على ستر المسلم، وتحذر من تتبُّع عوراته وزلاَّته ليفضح بين الناس، من ذلك:

١- قوله ﷺ: «مَن ستَر مسلمًا ستَرَه الله يوم القيامة» [أخرجه البخاري (٢/ ٨٦٢، رقم ٢٣١٠)، ومسلم (٤/ ١٩٩٦، رقم ٢٥٨٠)].

٢ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «مَن ستَر عورةَ أخيه المسلم، ستر الله عورته يومَ القيامة، ومَن كشفَ عورة أخيه المسلم، كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته»، [أخرجه ابن ماجه (٢/ ٨٥٠، رقم ٢٥٤٦)].

وقد رُوِي عن بعض السلف أنه قال: "أدركت قومًا لم يكن لهم عيوب، فذكروا عيوب الناس، فذكر الناس عيوبهم، وأدركت قومًا كانت لهم عيوب، فكفُّوا عن عيوب الناس فنُسِيت عيوبهم"، وشاهِدُ هذا حديث أبي بَرْزَةَ رضِي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «يا معشر مَن أسلم بلسانه ولم يفضِ الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيروهم، ولا تتَّبعوا عوراتهم؛ فإنه مَن يتبع عثرات أخيه المسلم يتبع الله عورته، ومَن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله» [أخرجه الترمذي (٤/ ٣٧٨، رقم ٢٠٣٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وقال: حسن غريب، أخرجه الطبراني (١١/ ١٨٦، رقم ١١٤٤٤)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال الهيثمي (٨/ ٩٤): رجاله ثقات].

ومعنى الستر هنا عامٌّ لا يتقيَّد بالستر البدني فقط، أو الستر المعنوي فقط، بل يشملهما جميعًا، فمَن ستَر مسلمًا ستَرَه الله في الدنيا والآخرة؛ ستَر بدنه كأن رأى منه عورة مكشوفة فستَرَها، أو رأت امرأة شيئًا من جسد أختها مكشوفًا غير منتبهة إليه فغطَّته، وستره معنويًّا فلم يظهر عيبه، فلم يسمح لأحدٍ أن يغتابه ولا أن يذمَّه، مَن فعل ذلك ستَرَه الله في الدنيا والآخرة، فلم يفضحه بإظهار عيوبه وذنوبه.

بل بلغتْ عناية الإسلام بهذا الجانب الاجتماعي الراقي إلى الحثِّ على أن يستر المظلوم عن الظالم، جاء في (الموسوعة الفقهية الكويتية) ["الموسوعة الفقهية الكويتية" (٢٤/ ١٧١)]، قال العلماء: "إنه يجب على المسلم أن يستر أخاه المسلم إذا سأله عنه إنسان ظالم يريد قتله أو أخذ ماله ظلمًا، وكذا لو كان عنده أو عند غيره وديعة وسأل عنها ظالم يريد أخذها، يجب عليه سترها وإخفاؤها، ويجب عليه الكذب بإخفاء ذلك، ولو استحلَفَه عليها لزمه أن يحلف، ولكن الأحوط في هذا كله أن يورِّي، ولو ترَك التورية وأطلق عبارة الكذب، فليس بحرامٍ في هذه الحال ["القوانين الفقهية" (ص ٤٣٤)، "دليل الفالحين" (٤/ ٣٨٢)، و"الأذكار"؛ للإمام النووي (ص ٥٨٠)]، واستدلوا بجواز الكذب في هذه الحال بحديث أم كلثوم رضي الله عنها: أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ليس الكذَّاب الذي يُصلِح بين الناس فينمي خيرًا أو يقول خيرًا»". [أخرجه البخاري (٢/ ٩٥٨، رقم ٢٥٤٦)، ومسلم (٤/ ٢٠١١، رقم ٢٦٠٥)].

الله سِتِّير يحب الستر

والله ﷻ (سِتِّير) يحب الستر والصون على عباده، قال السيوطي ﵀: "يعني: أن الله تعالى تارِكٌ للقبائح ساتِرٌ العيوب والفضائح" ["شرح سُنن ابن ماجه" (١/ ٢٧٥)]، وقال الطيبي ﵀: "يعني: أن الله ﵎ تارِك للقبائح ساتر للعيوب والفضائح، يحب الحياء والتستر من العبد؛ لأنهما خصلتان تفضيان به إلى التخلُّق بأخلاق الله تعالى" ["مرقاة المفاتيح" (٢/ ١٣٧)، و"حاشية السندي على سُنن النسائي" (١/ ٢٠٠)]، وهو أوَّل معافاة الله عزَّ وجلَّ لعبده؛ كما أخرج أبو نعيم عن بلال بن يحيى العبسي الكوفي مرسلًا، قال: "إن معافاة الله العبد في الدنيا أن يستر عليه سيئاته" [أورده الحافظ في "الإصابة" (١/ ٣٦٤، ترجمة ٨٢٨) وعزاه للحسن بن سفيان في الوحدان وأبي نعيم، وقال: قال أبو نعيم: أراه العبسي الكوفي صاحب حذيفة، قلتُ: وهو كما ظن؛ فإن حبيب بن سالم معروف بالرواية عنه، وهو تابعي معروف حتى قيل: إن روايته عن حذيفة مرسَلة].

ثم يتمُّ الله نعمته على هذا العبد؛ كما قال النبي ﷺ: «لا يستر الله على عبدٍ في الدنيا إلا ستَرَه الله يوم القيامة»، [أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٠٢، رقم ٢٥٩٠)]، وقال ﷺ: «إن الله يُدنِي المؤمن، فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم، أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلَك قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم؛ فيُعطَى كتاب

حسناته» [أخرجه البخاري (٢/ ٨٦٢، رقم ٢٣٠٩)، ومسلم (٤/ ٢١٢٠، رقم ٢٧٦٨)].

من متطلبات هذا الستر: أن يستر عليه ذنبه في الدنيا.

أجمع العلماء على أن مَن اطَّلع على عيبٍ أو ذنبٍ أو فجورٍ لمؤمن من ذوي الهيئات، أو نحوهم ممَّن لم يُعرَف بالشر والأذى ولم يشتهر بالفساد، ولم يكن داعيًا إليه؛ كأن يشرب مسكرًا أو يزني أو يفجر متخوفًا متخفيًا غير متهتِّك ولا مجاهر يُندَب له أن يستره، ولا يكشفه للعامة أو الخاصة، ولا للحاكم أو غير الحاكم ["الموسوعة الفقهية الكويتية" (٢٤/ ١٦٩)]؛ كما قال ﷺ: «مَن علم من أخيه سيئة فسترها عليه، ستر الله عليه يوم القيامة» [أخرجه الطبراني (١٧/ ٣٤٩، رقم ٩٦٢)، قال الهيثمي (١/ ١٣٤): رجاله رجال الصحيح، وأخرجه أيضًا: أحمد (٤/ ١٠٤، رقم ١٧٠٠١)، والرافعي (٣/ ٩٣)].

وخصوصًا إذا كان ممَّن يُنسَب لأهل الدين، والطعنُ فيه طعنٌ في الإسلام، والعيبُ عليه عيبٌ في أهل الإسلام، وقد قال ﷺ: «أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود» [أخرجه أبو داود (٤/ ٢٣٢، رقم ٤٣٧٧)، وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (رقم ٦٣٨)، و"صحيح الجامع" (رقم ١١٨٥)، و(ذوو الهيئات): هم أهل المروءة والصلاح الذين لا يُعرفون بالشر، (عثراتهم): زلَّاتهم]، وقال فضيلة الدكتور وهبة الزحيلي: "يستحب الستر مطلقًا على مرتكب المعصية الموجِبة للحد قبل الرفع إلى الإمام" ["الفقه الإسلامي وأدلته" (٧/ ٤٦٤)].

لكن المجاهر بالمعصية له شأن آخر، قال العلماء: "وأمَّا المجاهر والمتهتِّك فيستحبُّ ألا يستر عليه، بل يظهر حاله للناس حتى يجتنبوه، وينبغي رفع أمره للقاضي حتى يقيم عليه ما يستحقُّه"؛ لأن سترَ مثل هذا الرجل أو المرأة يُطمعه في مزيدٍ من الأذى والمعصية، وإذا كانت غيبة المسلمين حرامًا، فإن هذا الرجلَ قد أباح للناس أن يتكلَّموا في شأنه بمجاهرته، فأجاز العلماء غيبةَ المجاهر بفسقه أو ببدعته، كالمجاهر بشرب الخمر وغيره، وكما قال الإمام أحمد رحمه الله: "إذا كان الرجل معلِنًا بفسقه فليس له غيبة"["الآداب الشرعية" (١/ ٢٦١)، و"غذاء الألباب شرح منظومة الآداب" (١/ ٨٣)، وانظر: "حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار" (٦/ ٤٠٩)].

لكن العلامة النووي رحمه الله أشار إلى أن غيبتَه فيما جاهَر فيه فقط، ويُهتَك فيما جاهَر فيه، ويُحذَّر من شأنه، وأمَّا هجرُه، فإذا كان يرتدِع به فيجب الهجر، والهجر بالمقاطعة وعدم الكلام، وعدم الزيارة وعدم السلام عليه، قال الإمام أحمد رحمه الله: "ليس لِمَن يسكر ويقارف شيئًا من الفواحش حرمة ولا صِلة إذا كان معلِنًا مكاشفًا" ["الآداب الشرعية" (١/ ٢٥٢)، و"غذاء الألباب شرح منظومة الآداب" (١/ ٢٠٠)].

أن يستر على مَن غسله من الأموات:

قال ﷺ: «مَن غسل ميتًا فكتم عليه، غفر الله له أربعين مرة» [أخرجه البيهقي في "الكبرى" (٣/ ٣٩٥)، الطبراني (١/ ٣١٥ رقم ٩٢٩)، قال الهيثمي (٣/ ٢١)].

ألاَّ يتتبَّع عورات المسلمين:

فإنَّ تتبُّع عورات المسلمين علامةٌ من علامات النفاق، ودليلٌ على أن الإيمان لم يستقرَّ في قلب ذلك الإنسان الذي همُّه أن ينقب عن مساوئ الناس ليعلنها بين الملأ، كما تقدَّم في الحديث؛ لأن الأصل في المسلم أن يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه.

أن يخلص له النصيحة والدعاء بالهداية: أن يدعو له بالاستقامة والصلاح، وأن ينصحه في السر، فهذا أَحْرَى لقبول النصيحة؛ كما قال الإمام الشافعي ﷺ["ديوان الإمام الشافعي"(١/ ٦٣)].

تَعَمَّدْنِي بِنُصْحِكَ فِي انْفِرَادِي
وَجَنِّبْنِى النَّصِيحَةَ فِى الجَمَاعَةْ
فَإِنَّ النُّصْحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ مِنَ
التَّوْبِيخ لاَ أَرْضَى اسْتِمَاعَهْ
وَإِنْ خَالَفْتَنِي وَعَصَيْتَ قَوْلِي
فَلاَ تَجْزَعْ إِذَا لَمْ تُعْطَ طَاعَهْ

دواعي الستر على الناس: تذكر المرء عيوب نفسه.

الاشتغال بعيوب الناس سببٌ في فضح عيوب المشتغِل، والسكوت عن عيوب الناس سببٌ في ستر الله للعبد، ومَن نظَر لعيوب نفسه شغلتْه عن عيوب الناس؛ قال ﷺ: «يبصر أحدكم القَذَى في عين أخيه وينسى الجذع في عينه»[أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" (١/ ٢٠٧، رقم ٥٩٢)، وابن حبان

(١٣/ ٧٣، رقم ٥٧٦١)، والقضاعي (١/ ٣٥٦، رقم ٦١٠)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٥/ ٣١١، رقم ٦٧٦١)، وابن المبارك (ص ٧٠، رقم ٢١٢)، وصحَّحه الألباني في "صحيح الجامع" (٨٠١٣)].

قال الشاعر: ["لباب الآداب"؛ لأسامة بن منقذ (١/ ١٠٢)، "تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر" (١/ ٣٦٢)، و"شذرات الذهب في أخبار من ذهب" (٣/ ٣٥٠)، و"السحر الحلال في الحكم والأمثال" (١/ ١١٠)]:

إِذَا شِـــــئْتَ أَنْ تَحْيَـــا سَـــلِيمًا مِـــنَ الأَذَى
وَذَنْبُـــــكَ مَغْفُـــورٌ وَعِرْضُـــــكَ صَــــيِّنُ

فَـــلاَ يَنْطَلِـــقْ مِنْـــكَ اللِّسَـــانُ بِسَـــوْءَةٍ
فَلِلنَّـــاس سَـــوْءَاتٌ وَلِلنَّـــاس أَلْسُـــنُ

وَعَيْنُـــكَ إِنْ أَبْـــدَتْ إِلَيْـــكَ مَعَايِبًـــا لِقَـــوْمٍ
فَقُـــلْ: يَـــا عَـــيْنُ لِلنَّـــاس أَعْـــيُنُ

التفكر في فضل الستر على الناس: عن أبي هريرة رضِي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «لا يستر عبدٌ عبدًا في الدنيا إلا ستَرَه الله يوم القيامة» [أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٠٢، رقم ٢٥٩٠)]، وعنه رضِي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن ستَر مسلمًا ستَرَه الله في الدنيا والآخرة» [أخرجه عبد الرزاق (١٠/ ٢٢٨، رقم ١٨٩٣٦)، وأحمد (٤/ ١٠٤، رقم ١٧٠٠٠)، وابن أبى الدنيا في "قضاء الحوائج" (ص ٩٥، رقم ١١٣)، والخطيب (١٣/ ١٥٥)]، وقال ﷺ: «مَن رأى عورة فسترها، كان كمَن أحيا موءودة من قبرها» [أخرجه البخاري في "الأدب" (١/ ٢٦٦، رقم ٧٥٨)، وأبو داود (٤/ ٢٧٣، رقم ٤٨٩١)، والحاكم

(٤/ ٤٢٦، رقم ٨١٦٢) وقال: صحيح الإسناد، والبيهقي (٨/ ٣٣١، رقم ١٧٣٨٧)، والنسائي في "الكبرى" (٤/ ٣٠٧، رقم ٧٢٨١)، والطبراني (١٧/ ٣١٩، رقم ٨٨٣)].

قال محمد آبادي رحمه الله: "المعنى: مَن علم عيبًا أو أمرًا قبيحًا في مسلم، وقال العزيزي: أي: خصلة قبيحة من أخيه المؤمن، ولو معصية قد انقضَتْ ولم يتجاهَر بفعلها «كان كمَن أحيا»؛ أي: كان ثوابه كثواب مَن أحيا «موءودة»؛ بأن رأى أحدًا يريد وَأْدَ بنتٍ فمَنَع أو سعى في خلاصها ولو بحيلة، وقيل: بأن رأى حيًّا مدفونًا في قبر فأخرج ذلك المدفون من القبر كيلا يموت، قال المناوي رحمه الله: ["فيض القدير" (٦/ ١٣٠)، وانظر: "التيسير بشرح الجامع الصغير" (٢/ ٤١٧)]: وجه الشبه أن الساتر دفَع عن المستور الفضيحة بين الناس التي هي كالموت، فكأنه أحياه، كما دفع الموت عن الموءودة مَن أخرجها من القبر قبل أن تموت" ["عون المعبود" (٥/ ١٦٨)].

التفكر في مغبَّة فضح الناس:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَن ستَر عورة أخيه المسلم، ستَر الله عورته يوم القيامة، ومَن كشف عورة أخيه المسلم، كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته» [أخرجه ابن ماجه (٢/ ٨٥٠، رقم ٢٥٤٦)].

عدم الستر على العاصي قد يدفعه لمزيدٍ من المعصية: قال شقيق بن إبراهيم رحمه الله: "استتمام صلاح عمل العبد بستِّ خصال: تضرُّع دائم وخوف من وعيده، والثاني: حسن ظنِّه بالمسلمين، والثالث: اشتغاله بعيبه ولا يتفرَّغ لعيوب الناس، والرابع: يستر على أخيه عيبه ولا يفشي في الناس عيبه؛ رجاء رجوعه عن

المعصية واستصلاح ما أفسده من قبل، والخامس: ما اطَّلع عليه من خسَّة عملها استعظمها؛ رجاء أن يرغب في الاستزادة منها، والسادسة: أن يكون صاحبه عنده مصيبًا" ["حلية الأولياء" (٨/ ٦٦)].

عدم الستر قد ينشر السوء: فكشف هذه العورات والعيوب والتحدث بما وقع منه قد يؤدِّي إلى غيبة محرَّمة وإشاعة للفاحشة، قال بعض العلماء ["الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية" (١/ ٤٤١)، و"جامع العلوم والحكَم" (١/ ٣٤٠)، و"ذيل طبقات الحنابلة" (١/ ١١١)]: "اجتهِد أن تستر العصاة؛ فإن ظهور معاصيهم عيبٌ في أهل الإسلام، وأولى الأمور ستر العيوب"، وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: "المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعير" ["جامع العلوم والحكَم" (١/ ٨٢)، و"غذاء الألباب شرح منظومة الآداب" (١/ ٨٤)].

ستر المؤمن على نفسه: ثم إن من أبغض المخالفات لهذا الستر فضح الإنسان نفسه؛ كما قال ﷺ: «كل أمتي معافًى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملًا ثم يصبح وقد ستره الله، فيقول: عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه» [أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٥٤، رقم ٥٧٢١)، ومسلم (٤/ ٢٢٩١، رقم ٢٩٩٠)].

فيندب للمسلم إذا وقعتْ منه هفوة أو زلَّة أن يستر على نفسه، ويتوب بينه وبين الله عز وجل وألاَّ يرفع أمره إلى السلطان، ولا يكشفه لأحدٍ كائنًا ما كان؛ لأن هذا من إشاعة الفاحشة التي توعَّد فاعلها بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النور:١٩]، ولأنه

هتكٌ لستر الله ﷻ ومجاهرة بالمعصية ["دليل الفالحين" (٢/ ٢٩)، و"الآداب الشرعية" (١/ ٢٦٧)، و"الأذكار"؛ للإمام النووي (ص ٥٦٧)، و"جواهر الإكليل" (٢/ ٢٨٩)، و"مغني المحتاج" (٤/ ١٥٠)]؛ قال النبي ﷺ: «**اجتنبوا هذه القاذورة، فمَن ألَمَّ فليستتر بستر الله وليتب إلى الله؛ فإن مَن يُبدِ لنا صفحتَه نُقِم عليه كتاب الله**» [أخرجه الحاكم (٤/ ٤٢٥، رقم ٨١٥٨). والبيهقي (٨/ ٣٣٠، رقم ١٧٣٧٩)، قال المناوي (١/ ١٥٥): قال الحاكم: على شرطهما، وتعقَّبه الذهبي فقال: غريب جدًّا، لكنه في "المهذب" قال: إسناده جيِّد، وصحَّحه ابن السكن، وذكره الدارقطني في "العلل" وصحَّح إرساله].

الخلاصة:

١- يحب الله ﷻ الستر على الخلق ويأمر به.

٢- فضل الستر على المسلمين عظيم، وهو سبب لستر الله في الدنيا والآخرة.

٣- النهي عن تتبُّع عورات المسلمين والتجسُّس عليهم.

٤- عقوبة مَن فعَل ذلك أن الله يفضحه ويُظهِر للناس ما يستره عنهم.

٥- الستر على المخطئ أحيانًا يكون من سبل الحفاظ على استقرار المجتمع، وحمايته من الرذيلة.

٦- الأمر بالستر لا يشمل الدعاة للفجور، ومَن يظن تأثر العامة به.

٧- أحقُّ الناس بالستر على المسلم نفسه، فلا يجاهر بالمعصية، ولا يفضح نفسه بمعصيةٍ ستَرَها الله عليه.

٨- استحباب إقالة ذوي الهيئات عثراتهم ما لم تبلغ حدًّا.

سوابغ الستر

إن من مقاصد الشريعة الإسلامية التي اعتنت بها واهتمت بها: حفظ الأعراض وصيانتها وحمايتها، ويظهر ذلك في جانب العقوبات المغلظة التي رتبها الشرع على العدوان على العرض، وتنويعه في الزجر بحسب عظم الاعتداء على العرض، وبحسب نوع الاعتداء.

كما منعت مجرد نشر الأقاويل عن ذلك حقًا كانت أو باطلًا، وهذا المنع يحفظ أعراض المجتمع، فإن كثرة تناول الشيء قد يفضي إلى التساهل فيه، وهذا مخالف لمقصد حماية الأعراض، وطلب صيانتها، فإن «لشيوع أخبار الفواحش بين المؤمنين بالصدق أو بالكذب مفسدة أخلاقية، فإن مما يزع الناس عن المفاسد تهيبهم وقوعها وتجهمهم وكراهتهم سوء سمعتها، وذلك مما يصرف تفكيرهم عن تذكرها بله الإقدام عليها رويدًا رويدًا حتى تنسى وتنمحي صورها من النفوس، فإذا انتشر بين الأمة الحديث بوقوع شيء من الفواحش تذكرتها الخواطر وخف وقع خبرها على الأسماع فدب بذلك إلى النفوس التهاون بوقوعها وخفة وقعها على الأسماع، فلا تلبث النفوس الخبيثة أن تقدم على اقترافها وبمقدار تكرر وقوعها وتكرر الحديث عنها تصير متداولة. هذا إلى ما في إشاعة الفاحشة من لحاق الأذى والضر بالناس ضرًا متفاوت المقدار على تفاوت الأخبار في الصدق والكذب» [التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١٨/ ١٨٥)].

وقد تكاثرت الأدلة من الكتاب والسنة على أهمية ضبط الكلام ووجوب العناية باللسان، ولما سأل معاذ رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار، قال: لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه: ثم أخبره بأركان الدين وبعض شعائره ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد. ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا رسول الله. فأخذ النبي ﷺ بلسانه وقال: كف عليك هذا، فقال معاذ: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك يا معاذ. وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال: على مناخرهم، إلا حصائد ألسنتهم؟ [سنن الترمذي (٢٦١٦)، مسند أحمد (٥/ ٢٣١)].

قال ابن رجب: «هذا يدل على أن كف اللسان وضبطه وحبسه هو أصل الخير كله، وأن من ملك لسانه فقد ملك أمره وأحكمه وضبطه»[جامع العلوم والحكم ص٣٠٩].

ولذا كان الستر على صاحب المعصية هو الأصل المطلوب من المسلم عمومًا، وهذا يتأكد في حق ذوي الهيئات الذين لا يعرف عنهم فساد[شرح صحيح مسلم (١٦/ ١٣٥)، نوادر الفقهاء لمحمد بن الحسن التميمي، تحقيق محمد فضل المراد ص١٨٧].

«فإن الله تعالى خصهم بنوع تكريم وتفضيل على بني جنسهم، فمن كان منهم مستورًا مشهورًا بالخير حتى كبا به جواده، ونبا عصب صبره، وأديل عليه شيطانه؛ فلا تسارع إلى تأنيبه وعقوبته، بل تقال عثرته ما لم يكن حدًا من حدود

الله فإنه يتعين استيفاؤه من الشريف كما يتعين أخذه من الوضيع. وهذا باب عظيم من أبواب محاسن هذه الشريعة الكاملة وسياستها للعالم وانتظامها لمصالح العباد في المعاش والمعاد» [بدائع الفوائد لابن القيم (٣/ ١٣٩)].

وقد رغب الشارع في الستر ببيان الأجر العظيم المترتب عليه، والتحذير من مغبة مخالفته، فعن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يستر عبد عبدًا إلا ستره الله يوم القيامة**» [صحيح مسلم (٣٩٥)].

وعن ابن عمر ﵄ أن رسول الله ﷺ قال: «**المسلم أخو المسلم... ومن ستر مسلمًا في الدنيا ستره الله يوم القيامة**» [صحيح البخاري (٢٤٤٢)، صحيح مسلم (٢٥٨٠)].

وقال ﷺ: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم تتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته**» [سنن الترمذي (٢٠٣٢)، من حديث عبد الله بن عمر ﵄، وحسنه الألباني في «**غاية المرام**» (٤٢٠). وجاء عن أبي برزة عند أبي داود (١٨٨٠). وقال في مجمع الزوائد (٨/ ٩٣): رواه أبو يعلى ورجاله ثقات].

ويخاطب الفقيه ابن عقيل من يتجرأ على كشف ستر عباد الله تعالى فيقول: «الشرع يتغاضى عن حقوقه، وأنتم تتبعون الناس تتبع أصحاب الأخبار. وقد كفى المكلف ما وكل به من الرقيب والعتيد. وما قنعتم أنتم بما وضع، وقد رأيتم تغاضيه عن حقوقه حتى جعلتم نفوسكم حفظة له. تراكم لا تخافون أن يفضحكم في قعر بيوتكم على أقبح ذنوبكم؟ صاحب الحق يعفو، وأنت بسوء طبعك تكشف وتجفو. وصاحب الشرع يقول على علم منه ببواطن الأحوال:

من أتى من هذه القاذورات شيئًا فليستتر بستر الله. تراه يريد: فليستتر عن الله بستره، أم عنكم؟

فإذا استتر الجاني عنك امتثالًا لأمري، وكشفت أنت، كانت جريمتك في الكشف على أخيك المسلم أكبر من جريمته، حيث امتثل بسترها أمر الشرع. يا جاهل! أنا صاحب الحق وقد سترت. فيا فضولي! فما بالك، فيما ليس لك، بحثت وكشفت؟ احذر المقابلة مني بكشف، وأنت بين مصدق لك ومكذب. فإن مقابلتي كشفك بحيث لا تقبل معذرتك ولا يصدق جحدك. نعوذ بالله من التعبد بالجهل. أنت تعتقد أنك منكر وأنت غير منكر، حيث تطفلت بما لم تكلفه، بل بما عنه لا توقرني في الخلوة وتتعاصب لي على غيرك مع توقيه منك بأكثف ستر» [كتاب الفنون لابن عقيل (٢/ ٦٨٢)].

أحكام وأحوال:

مع أن الأصل في كل ما يبلغ الإنسان عن غيره من المعائب والسيئات هو الستر، فإن لهذه المسألة أحوالًا وأوصافًا تفضي لاختلاف الحكم باختلافها، وهو ما نجمله فيما يأتي:

أولًا: من اطلع على أمر خفي فقد اطلع على سر، والسر أمانة تجب المحافظة عليها.

ومن ذلك ما يبلغ الإنسان من الأمور التي يطلب صاحبها كتمانها، سواء طلب ذلك صراحة، أو بدلالة الحال، مثل أن يتعمد الحديث عنها حال الانفراد مثلًا، ومنه ما يطلع عليه الشخص بسبب مهنته أو عمله كالطبيب والقاضي والمحقق والمحتسب والمربي.

فمتى كان إفشاء السر يتضمن ضررًا فإفشاء السر حرام باتفاق الفقهاء [نقله ابن بطال، ينظر: فتح الباري (١١/ ٨٥)، الإنصاف (٢١/ ٣٢٠)]، وكذلك إذا لم يتضمن ضررًا فالمختار أيضًا عدم جواز إفشائه. [وهو مذهب الإمام أحمد وغيره، ينظر: الإنصاف (٢١/ ٤٢٠)، الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ٢٥٧)].

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى جواز إفشاء السر بعد موت صاحب السر إذا لم يتضمن غضاضة على الميت [ينظر: فتح الباري (١١/ ٨٥)]، وفي هذا نظر، بل إفشاء السر لا يجوز سواء حال الموت أو الحياة، وسواء تضمن ضررًا أو لا؛ لأن هذا من قبيل حفظ العهد وهو كالوديعة التي يجب حفظها، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنفال:٢٧].

عن أنس بن مالك ﷺ قال: مر بي النبي ﷺ وأنا ألعب مع الصبيان فسلم علينا، ثم دعاني فبعثني إلى حاجة له، فجئت وقد أبطأت عن أمي، فقالت: ما حبسك؟ أين كنت؟ فقلت بعثني رسول الله إلى حاجة، فقالت: وما هي؟ فقلت: إنها سر، قالت: لا تحدث بسر رسول الله أحدا. [صحيح البخاري (٦٢٨٩)، صحيح مسلم (٢٤٨٢)].

وقد سمى النبي ﷺ السر أمانة، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إذا حدث الرجل بالحديث ثم التفت فهي أمانة» [سنن أبي داود (٤٨٦٨)، سنن الترمذي (١٩٥٩) وقال: حديث حسن. وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٤٨٦)]، والأمانة واجبة الحفظ.

وكذلك فإن مخالفة الستر وإفشاء الأسرار قد تدخل في الغيبة، والغيبة محرمة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَاتَّقُوا اللَّهَۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات:١٢]، وقد بين رسول الله ﷺ ضابطها في قوله: «**أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره. قال: أفرأيت إن كان فيه ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته**». [صحيح مسلم (٢٥٥٨٩)].

فذكر الإنسان لغيره بشيء يكرهه ولو كان فيه: غيبة.

وهذه تفيدنا قاعدة أن الكلام بما يكرهه المتحدث عنه حرام، وهذا يشمل عيوب الإنسان البدنية، أو الخلقية، وما قد يقع فيه من معاص وأخطاء. [غذاء الألباب (١/ ١٠٣)، قال الغزالي: اعلم أن حد الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه، سواء ذكره بنقص في دينه أو نسبه أو خلقه أو في فعله أو في قوله أو في دينه أو في دنياه، حتى في ثوبه وداره ودابته. ينظر: إحياء علوم الدين (٣/ ١٢٩)].

ولذا رتب الشرع على كتمان عيوب الناس الأجر الجزيل، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول ﷺ: «**من غسل ميتًا فأدى فيه الأمانة، ولم يفش عليه ما يكون منه عند ذلك خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**» [مسند الإمام أحمد (٢٤٨٨١)، قال الهيثمي: فيه جابر الجعفي، وفيه كلام كثير. مجمع الزوائد (٣/ ٢١)].

ثانيًا: من عرف بالشر والفساد، وكان في الإخبار عن فساده منع للشر أو تخفيف منه، فهنا يتغير الحال، قال النووي: «**وأما الستر المندوب إليه هنا فالمراد به الستر على ذوي الهيئات ممن ليس معروفًا بالأذى والفساد**» [شرح صحيح مسلم (١٦/ ١٣٥)].

ولذا فالمعروف بالفساد يسوغ البحث عنه لعقوبته وردعه، قال ابن حجر في شرح قول النبي ﷺ: «ومن ستر مسلمًا»: «أي رآه على قبيح فلم يظهره للناس، وليس في هذا ما يقتضي ترك الإنكار عليه فيما بينه وبينه، ويحمل الأمر في جواز الشهادة عليه بذلك على ما إذا أنكر عليه ونصحه فلم ينته عن قبيح فعله ثم جاهر به.. كما أنه مأمور بأن يستتر إذا وقع منه شيء، فلو توجه إلى الحاكم وأقر لم يمتنع ذلك، والذي يظهر أن الستر محله في معصية قد انقضت، والإنكار في معصية قد حصل التلبس بها فيجب الإنكار عليه وإلا رفعه إلى الحاكم، وليس من الغيبة المحرمة بل من النصيحة الواجبة» [فتح الباري (٥/ ٩٧)].

وقال ابن رجب: «من كان مشتهرًا بالمعاصي معلنًا بها لا يبالي بما ارتكب منها ولا بما قيل له فهذا لا بأس بالبحث عن أمره لتقام عليه الحدود» [جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٩٢)].

وكذلك إذا كانت معصيته تلحق الضرر بالمجتمع، مثل الداعية للفساد، وناشر الأفكار الرديئة والأقوال الباطلة، وأصحاب المذاهب الهدامة، فهؤلاء لا بد من التحذير منهم، وتنبيه الناس لشرهم وفسادهم، وليس هؤلاء مثل أصحاب الفساد الأخلاقي بل شرهم أعظم وخطرهم أكبر، قال ابن منصور: قلت للإمام أحمد: إذا علم من الرجل الفجور أنخبر به؟ قال: لا، بل يستر عليه إلا أن يكون داعية. [المغني (٦/ ٥٥٨). وانظر: الآداب الشرعية لابن مفلح (١/ ٢٣٣)، الموسوعة الفقهية (٢٤/ ١٦٨)، (١٠/ ١٦١)].

وسبب هذا أن الداعية جاهر بخبثه وفضح نفسه فلم يبق مجال لستره، كما أن في التحذير منه تقليلًا لشره وفساده.

وهذا الأمر مزلة قدم فعلى الإنسان التبصر فيه قبل الإقدام، وأن لا تدفعه الحمية لفعل لا يرضى الله عنه، ويجتهد في تحقيق المناط وموازنة المصالح والمفاسد، والتنبه لحظ النفس، وإذا علم الله من العبد تحري العدل والإنصاف غفر له ووفقه للصواب.

اللهم جملنا بسترك، وأسبغ علينا سترك الجميل في الدنيا والآخرة.

وقال ابن القيم ﵀ في "نونيته":

وهـــــو الحيـــــي فلـــــيس يفضـــــح عبـــــده

عنـــــد التجـــــاهر منـــــه بالعصـــــيان

لكنـــــه يلقـــــي عليـــــه ســـــتره

فهـــــو الســـــتير وصـــــاحب الغفـــــران

أسباب الفوز بستر الله

أسباب الفوز بستر الله ﷻ كثيرة، ومنها:

عدم المجاهرة والتحدث بالمعصية، فمن وقع في معصية عليه أن يستر على نفسه، ويسارع إلى التوبة منها، ولا يُخبر أحدًا بها، فعن سالم بن عبد الله رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**كُلُّ أَمَّتِي مُعَافًى إِلاَّ الْمُجَاهِرِين، وإن من المجاهرة أن يعمل العبد بالليل عملا، ثم يُصْبِح قد ستره ربه، فيقول: يا فلان قد عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، فيبيت يستره ربه، ويصبح يكشف سِتْرَ الله عنه**» (رواه البخاري (٥٧٢١) ومسلم (٢٩٩٠))

قالَ ابن حجر في "فتح الباري": "قال ابن بَطّال: فِي الجَهر بِالمَعصِيَةِ استِخفاف بِحَقِّ الله ورَسُوله وبِصالِحِي المؤمنين، وفِيهِ ضَرب مِنَ العِناد لهم، وفِي السِّتر بِها السَّلامَة مِنَ الاستِخفاف، لأَنَّ المَعاصِي تُذِلّ أَهلها، ومِن إِقامَة الحَدّ عَلَيهِ إِن كانَ فِيهِ حَدّ، ومَن التَّعزِير إِن لَم يُوجِب حَدًّا، وإِذا تَمَحَّضَ حَقّ الله فهو أكرم الأكرمين، ورَحمَته سَبَقَت غَضَبه، فلذلك إذا ستره في الدنيا لَم يَفضَحه في الآخرة، والذي يجاهر يفوته جميع ذلك".

ستر المسلم على أخيه، فعن أَبِي هريرة رضي الله عنه أنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لاَ يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا، إِلاَّ سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» (رواه مسلم (٢٥٩٠)).

ومعنى الستر هنا عامٌّ لا يتقيَّد بالستر البدني فقط، أو الستر المعنوي فقط، بل يشملهما جميعًا، فمَن ستَر مسلمًا ستَرَه الله في الدنيا والآخرة.

وعَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ عبد الله ﵁ أَنَّ رَسُول اللهِ ﷺ قال: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدنيا، نَفَّسَ الله عنه كُرْبَةً من كُرَبِ يوم القيامة، وَمَنْ يَسَّرَ على مُعْسِرٍ يَسَّرَ الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة» (رواه مسلم: (٢٦٩٩)).

قل ابن حجر: "أي: رآه على قبيحٍ فلم يُظهِره، أي: للناس، وليس في هذا ما يقتضي ترك الإنكار عليه فيما بينه وبينه.. والذي يظهر أن الستر محله في معصية قد انقضَتْ، والإنكار في معصية قد حصل التلبُّس بها، فيجب الإنكار عليه".

ومن أسباب نيل ستر الله: أن يستتر العبد في لباسه ولا يتعرى أمام الناس، قال ﷺ: «الله عزَوجلّ حييٌّ ستيرٌ، يحبُ الحياءَ والسترَ، فإذا اغتسلَ أحدُكمْ فليستترْ» (رواه أبو داوود (٤٠١٢) والنسائي (٤٠٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٥٦).

ومن الأسباب أيضًا: الصدقة، قال ﷺ: «من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمرة فليفعل» (رواه مسلم (١٠١٦)).

ومن أسباب نيل ستر الله: تربية البنات والإحسان إليهن، قال ﷺ: «من يلي من هذه البنات شيئًا فأحسن إليهن كن له سترًا من النار» (تفق عليه). ومنها: ستر الميت عند تغسيله، قال صلوات الله وسلامه عليه: «من غسل ميتًا فستره ستره الله من الذنوب، ومن كفنه كساه الله من السندس» (صحيح الجامع:٦٤٠٣).

كذلك من أسباب نيل ستر الله: دعاء وسؤال الله تعالى الستر، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: (لم يكن رسول الله ﷺ يدَع (يترك) هذه الدعوات حين يمسي وحين يصبح: «اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، وديني ودنياي، وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي، واحفظني من بين يدَي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي») (الالباني المصدر صحيح أبي داوود:٥٠٧٤).

من صفات الله عز وجل "الستر"، فإنه سبحانه "سِتِّير" يحبُّ السَّتر والصَّون، يستر على عباده الذنوب والعيوب، ومن أعظم نِعَم الله تعالى على عبده أن يشمله بستره في الدنيا والآخرة.

ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول الله ﷺ، يقول: «**إن الله يُدنِي المؤمنَ، فيضع عليه كنَفَه ويسترُه، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم، أيْ ربِّ، حتى إذا قرَّره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلَك، قال: سترتُها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون، فيقول الأشهاد:** ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾ [هود:١٨]». (البخاري:٢٤٤١، ومسلم:٢٧٦٨).

نسأل الله تعالى أن يمن علينا بستره وعفوه في الدنيا والآخرة...

سلسلة حلقات الستر

١- عن عطاء عن يعلى بن امية رضي الله عنه: "أن رسول الله رأى رجلًا يغتسل بالبراز (أي: بالخلاء) فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَل حَلِيمٌ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ، يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ» (رواه النسائي وصححه الألباني، صحيح الجامع:١٧٥٦).

قال ابن القيم (القصيدة النونية:١٨٩):

وهـــو الحَيِـــيُّ فَلَـــيسَ يَفْضَـــحُ عَبْـــدَهُ
عنـــدَ التَّجَـــاهُر مِنْـــهُ بالعِصْـــيَانِ
لَكِنَّـــــهُ يُلْقِـــــي عَلَيْـــــهِ سِـــــتْرَهُ
فَهْـــوَ السَّـــتِيرُ وصَـــاحِبُ الغُفْـــرَانِ

٢- من صفات الله الستر والسِّتر: صفة ثابتة لله تعالى بالسُنة النبوية الصحيحة، فعن يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله عزَّ وجلَّ حليم، حييٌ سِتِّير، يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر» ((أخرجه أبو داود (٤٠١٣)، والنسائي (٤٠٦)).

و"الستير" معناه: أنه يحبُّ السّتر والصّون لعباده ولا يفضحهم، كما أنه يحب مِنْ عباده الستر على أنفسهم والابتعاد عما يشينهم.

والله ﷻ يحب السترَ، ويأمر بستر العورات، وهذا من كمال وعظيم رحمته وفضله، فإنه ﷻ يستر عباده فلا يفضحهم بما ارتكبوا من معاص وسيئات، وستره سبحانه على عباده لا يقتصر على الدنيا فقط، بل يشمل الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان:٢٠].

٣- آثار الإيمان بهذا الاسم (الستير): أن الله تعالى ستير يحب الستر والصون، فيستر على عباده الكثير من الذنوب والمعاصي.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(رواه مسلم (٢٥٩٠))..

٤- أن الله أمر بالستر وكَرِهَ المجاهرة بالمعصية، ومحبة نشرها بين الناس، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ١٩﴾ [النور:١٩].

فإذا كان مجرد الحب صاحبه مهدَّد بالعذاب، فكيف بمن يجهر وينشر ويساعد على هذه الفواحش والمنكرات، ويسن القوانين لحمايتها؟

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ باللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وقدْ سَتَرَهُ اللهُ عليه، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ البَارِحَةَ كَذَا وكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، ويُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ» (رواه البخاري (٥٧٢١) ومسلم (٢٩٩٠)).

٥- إن الله يحب الستر فإذا تلبس المؤمن بشيء من هذه القاذورات، فعليه التوبة، وأن يستر ذلك ويكثر من الأعمال الصالحة.

روى الحاكم في مستدركه من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اجْتَنِبُوا هَذِهِ الْقَاذُورَةَ الَّتِي نَهَى اللهُ عَنْهَا، فَمَنْ أَلَمَّ فَلْيَسْتَتِرْ بِسِتْرِ اللهِ، وَلْيُتُبْ إِلَى اللهِ، فَإِنَّهُ مَنْ يُبْدِ لَنَا صَفْحَتَهُ نُقِمْ عَلَيْهِ كِتَابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ» [١٣] (٥/ ٣٤٧) برقم (٧٦٨٩)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وقال محققه الشيخ عبدالسلام علوش: سنده صحيح، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة برقم (٦٦٣).

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل　　　خلوت ولكن قل عليّ رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة　　　ولا أن ما تخفي عليه يغيب

٦- تحريم تتبع عورات المسلمين: أن الله تعالى نهى عن تتبُّع عورات المسلمين، وحث على الستر عليهم، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَبَّعُوا عَوَرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوَرَاتِهِمْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ» (أخرجه أحمد(٤٢٠/ ٤)، وأبو داود(٤٨٨٠)، وقال الألباني في (٤٨٨٠) حسن صحيح).

وكان عدي بن حاتم رضي الله عنه يقول: "الغِيبة مرعى اللئام".

ويقول أبو عاصم النبيل رحمه الله: "لا يذكر في الناس ما يكرهونه إلا سَفِلةٌ لا دينَ لهم"

لا تكشفن مساوي الناس ما ستروا　　　فيهتك الله سترًا عن مساويكا

واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ولا تعب أحدًا منهم بما فيكا

اللهمّ أحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، وَأجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ.

٧- الجود والانفاق في وجوه الخير: عن أبي هريرة ﷺ قال ضَرَبَ رَسولُ اللهِ ﷺ مَثَلَ البَخِيلِ والْمُتَصَدِّقِ، كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عليهما جُنَّتانِ مِن حَدِيدٍ، قَدِ اضْطُرَّتْ أيْدِيهِما إلى ثُدِيِّهِما وتَراقِيهِما، فَجَعَلَ المُتَصَدِّقُ كُلَّما تَصَدَّقَ بصَدَقَةٍ انْبَسَطَتْ عنْه، حتَّى تُغَشِّيَ أنامِلَهُ وتَعْفُوَ أثَرَهُ، وجَعَلَ البَخِيلُ كُلَّما هَمَّ بصَدَقَةٍ قَلَصَتْ، وأَخَذَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكانَها. قالَ: فأنا رَأَيْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: بإصْبَعِهِ في جَيْبِهِ فلوْ رَأَيْتَهُ يُوَسِّعُها ولا تَوَسَّعُ. أخرجه البخاري (١٤٤٣).

وان كَثُرَت عُيوبُكَ في البَرايا وَسَرَّكَ أَن يَكونَ لَها غِطاءُ

تَسَتَّر بِالسَخاءِ فَكُلُّ عَيبٍ يُغَطّيهِ كَما قيلَ السَخاءُ

٨- سؤال الله العافية صباحا ومساء: كان من دعائه ﷺ طلب الستر من الله، فعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: «لم يكن رسول الله ﷺ يدَع (يترك) هذه الدعوات حين يمسي وحين يصبح: **اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، وديني ودنياي، وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي، واحفظني من بين يدَي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي**» (الالباني المصدر صحيح أبي داوود:٥٠٧٤).

اللهمّ أحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، وَأجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ

٩- إقالة ذوي الهيئات والستر عليهم: عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: أقيلوا ذَوي الهيئاتِ عثَراتِهم إلا الحدودَ) (التخريج: أخرجه أحمد (٢٥٥١٣)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (٧٢٩٣))

قال النووي ﵀: «المراد بالستر: الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس معروفًا بالأذى والفساد، فأما المعروف بذلك فيستحب ألا يُستر عليه، فيرفع أمرُه إلى ولي الأمر إن لم يخف من ذلك مفسدة، لأن الستر عليه يطمعه في الإيذاء والفساد» شرح النووي على صحيح مسلم (٦/ ٣٥١).

وفي الحديثِ: مَشْروعيَّةُ تَرْكِ التَّعْزيرِ، وأنَّه ليس كالحَدِّ، وإلَّا لاسْتَوى فيه ذو الهَيئةِ وغيرُهُ

اللهمّ أحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، وَأجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ.

١٠- حافظ ولا تهتك لاسيما عند الخلوات: عن ثوبان عن النبي ﷺ أنه قال: " لأعلمن أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضا فيجعلها الله ﷻ هباء منثورا" قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا جلهم لنا أنلا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال "أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها" ((صحيح ابن ماجة:٣٤٤٢)).

اللهمّ أحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، وَأجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ.

١١- احرص على الستر: قال الإمام ابن القيم: للعبد ستران: ستر بينه وبين ربه، وآخر بينه وبين الخلق، فمن هتك الستر الذي بينه وبين الله، هتك الله ستره بين الخلق.

اللهمّ أحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، وَأجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ

١٢- احفظ الله يحفظك: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنتُ خلفَ رسولِ اللهِ ﷺ يومًا قال: يا غلامُ، إني أعلِّمُك كلماتٍ: احفَظِ اللهَ يحفَظْك، احفَظِ اللهَ تجِدْه تُجاهَك، إذا سألْتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعنْتَ فاستعِنْ باللهِ، واعلمْ أنَّ الأمةَ لو اجتمعتْ على أن ينفعوك بشيءٍ، لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ لك، وإنِ اجتمعوا على أن يضُرُّوك بشيءٍ لم يضُروك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ عليك، (رُفِعَتِ الأقلامُ وجَفَّتِ الصُّحُفَ). أخرجه الترمذي (٢٥١٦).

اللهمّ أحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، وَأجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ.

١٣- الإخلاص لله في كل عمل: من أسباب ستر الله عليك الإخلاص واجتناب الرياء؛ عن جندب بن عبدالله قال النبي ﷺ: «من يسمِعَ يسمِعَ الله به، ومن يُرائي يُرائي الله به»؛ [صحيح مسلم:٢٩٨٧].

فَثَوبُ الرياء رَقيق شفّاف يَشِفّ عما تحته!

يقول أبو ذؤيب:

ثَـوْبُ الرِّيـاء يَشِـفُّ عَّمـا تَحْتَـهُ فَـإذا التَحَفْـتَ بـهِ فإنّـك عَـارِي

اللهمّ أحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، وَأجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ.

١٤- مصارعة الشهوات: قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت:٦٩]

رب مستور سبته شهوة	فتعرى ستره فانهتكا
صاحب الشهوة عبد فإذا	غلب الشهوة أضحى ملكا

اللهمّ أحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، وَأجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ

١٥- استر أخاك المسلم: عليك ألا تهتك ستر أحد من المسلمين.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يستر عبدٌ عبدًا في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة» (رواه مسلم (٢٥٩٠)).

اللهمّ أحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، وَأجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ.

١٦- حجاب المرأة من أسباب الستر: عن أبي المليح قال: دخل نسوة من أهل الشام على عائشة، فقالت: ممن أنتن؟ قلن: من أهل الشام، قالت: لعلكن من الكورة التي تدخل نساؤها الحمامات، قلن: نعم، قالت: أما إني سمعت رسول الله يقول: «ما من امرأة تخلع ثيابها في غير بيتها إلا هتكت ما بينها وبين الله تعالى»؛ [رواه أبو داود، وصحَّحه الألباني (٤٠١٠)].

فالتي تخلع ثيابها في غير بيت أهلها، تهتك الستر الذي أسدله الله تعالى عليها.

اللهمّ أحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، وَأجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ.

١٧- غض البصر: غض البصر من أسباب الستر عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ قال: «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة»؛ [صحيح الترمذي:٢٧٩٣].

اللهمّ أحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، وَأجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ.

١٨- الصدقة ستر من النار: عن عدي بن حاتم قال: سمِعت النبي ﷺ يقول: «من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمرة فليفعل»؛ [صحيح الجامع:٦٠١٧].

اللهمّ أحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، وَأجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ

١٩- ستر المسلم عند تغسيله من أسباب الستر: قال رسول الله: «من غسل ميتًا فستره، ستره الله من الذنوب، ومن كفَّنه، كساه الله من السندس»؛ [رواه الطبراني، وحسَّنه الألباني، صحيح الجامع (٦٤٠٣)].

اللهمّ أحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، وَأجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ

٢٠- الإحسان إلى البنات من أسباب الستر: عن عائشة رضي الله عنها، قالت: دخلت امرأة معها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندي شيئًا غير تمرة، فأعطيتها إيَّاها، فقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ علينا

فأخبرته، فقال: «من ابتُلي من هذه البنات بشيء كنَّ له سترًا من النار»؛ [البخاري:١٤١٨، مسلم:٢٦٢٩].

اللهمّ أحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، وَأجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ

٢١- تأدية حق الله في المال من أسباب الستر: فإذا أدَّيت حق الله في مالك، سترك الله؛ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الخَيْلُ لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وعلَى رَجُلٍ وِزْرٌ؛ فأمَّا الَّذي له أَجْرٌ: فَرَجُلٌ رَبَطَهَا في سَبيلِ اللهِ، فأطَالَ بهَا في مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ، فَما أَصَابَتْ في طِيَلِهَا ذلكَ مِنَ المَرْجِ أَوِ الرَّوْضَةِ، كَانَتْ له حَسَنَاتٍ، ولو أنَّهُ انْقَطَعَ طِيَلُهَا، فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ، كَانَتْ آثَارُهَا وَأَرْوَاثُهَا حَسَنَاتٍ له، ولو أنَّهَا مَرَّتْ بنَهَرٍ، فَشَرِبَتْ منه وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَسْقِيَ، كانَ ذلكَ حَسَنَاتٍ له، فَهي لِذلكَ أَجْرٌ. وَرَجُلٌ رَبَطَهَا تَغَنِّيًا وَتَعَفُّفًا، ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللهِ في رِقَابِهَا وَلَا ظُهُورِهَا؛ فَهي لِذلكَ سِتْرٌ. وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخْرًا وَرِيَاءً وَنِوَاءً لأَهْلِ الإسْلَامِ، فَهي علَى ذلكَ وِزْرٌ. وَسُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الحُمُرِ، فَقالَ: ما أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهَا شَيءٌ إلَّا هذِه الآيَةُ الجَامِعَةُ الفَاذَّةُ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة:٧-٨]»؛ [البخاري:٢٣٧١، مسلم:٩٨٧].

اللهمّ أحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، وَأجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ

٢٢- كظم الغيظ والغضب من أسباب الستر: قال رسول الله: «ومن كف غضبه ستر الله عورته»؛ [رواه ابن أبي الدنيا، وحسَّنه الألباني، صحيح الجامع (١٧٦)].

اللهمّ أحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، وَأجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ.

٢٣- حسن الظن بالله من أسباب الستر: فمن جملة الخير أن يحسن العبد ظنه بربِّه، ويحسن الظن بأنه سيستره في الدنيا والآخرة، فالله جل في علاه هو الستِّير يحب الستر على عباده، ويسترهم في الدنيا والآخرة؛ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ قال الله ﷻ: «أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيرًا فله، وإن ظن شرًّا فله»؛ (البخاري:٧٤٠٥، مسلم:٢٦٧٥).

اللهمّ أحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، وَأجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ.

٢٤-الاستتار وعدم التعرِّي من أسباب الستر: عن جابر أن النبي قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يدخل الحمام بغير إزار»؛ [رواه الترمذي، وصحَّحه الألباني، مشكاة المصابيح (٤٤٧٧)]، والحمامات المقصود بها حمامات البخار وصالات الألعاب الرياضية في عصرنا، فالأصل أن يستتر.

اللهمّ أحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، وَأجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ.

٢٥- عدم التسميع بالفواحش: عدم التسميع بالفواحش، فلا يجوز إشاعة الفاحشة بين المؤمنين؛ عن شبيل بن عوف قال: "كان يقال: من سمع بفاحشة فأفشاها، فهو فيها كالذي أبداها"؛ [صحيح الأدب المفرد (٣٢٥)]. فالذي ينشر أخبار المعاصي ويُفشيها، سينال وِزْر كل من يقع فيها بسببه حتى وإن لم يقع هو في تلك المعصية، وعن عبدالله بن المبارك، قال: "كان الرجل إذا رأى

من أخيه ما يكره، أمره في ستر، ونهاه في ستر، فيؤجر في ستره، ويؤجر في نهيه، فأما اليوم فإذا رأى أحد من أحد ما يكره؛ استغضب أخاه، وهتك ستره"، وعن عبيد الله بن عبدالكريم الجيلي، قال: "من رأيته يطلب العثرات على الناس، فاعلم أنه معيوب، ومن ذكر عورات المؤمنين؛ فقد هتك ستر الله المرخي على عباده". هذه بعض أسباب الفوز بستر الله ﷻ عليك، سترنا الله وإياكم في الدنيا والآخرة، هذا وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

اللهمّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ

٢٦-ابتهال لربي الستير: نسأل الله السلامة من الذنوب صغيرها وكبيرها سلامة تعمنا وإخواننا المسلمين.

اللهم استرنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض.

اللهم إنا لا نفرح بستر المسلم يُهتك ولا بعيبه يُنشر، اللهم فألطف بنا أن يُهتك لنا ستر أو يُنشر لنا عيب.

اللهم أتم سترك علينا في الدنيا بمغفرتك لنا في الآخرة وتب علينا توبة نصوح من كل ذنب مهما صغر يا أكرم الأكرمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خير خلق الله أجمعين وآله وصحبه والتابعين.

٢٧-اجتناب الذنوب والمعاصي: عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» [صحيح البخاري:٤٦٨٦]..

فإذا ظلم العبد نفسه باقتراف الذنوب والمعاصي وتعدى الحدود، فإن الله تعالى يؤاخذه بذنبه ويرفع ستره عنه..

أما أن لم يقترف تلك الذنوب، كان في رحمة الله تعالى وسَتَرَهُ الله جلَّ وعلا.

اللهمّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ

٢٨- عبادة الستر: الستر معناه: تغطية المسلم عيوبه وإخفاء هناته، وعدم كشفها للناس مع طلب التوبة والندم عليها، وتيقنه بأن الله تعالى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: «إن الله ﷻ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها» (رواه مسلم:٢٧٥٩).

٢٩- لا تشتغل بعيوب الغير: الاشتغال بعيوب الناس سببٌ في فضح عيوب المشتغِل، والسكوت عن عيوب الناس سببٌ في ستر الله للعبد، ومَن نظَر لعيوب نفسه شغلتْه عن عيوب الناس؛ قال ﷺ: «يبصر أحدكم القَذَى في عين أخيه وينسى الجذع في عينه» أخرجه ابن المبارك في ((الزهد)) (٢١٢)، وابن حبان (٥٧٦١)، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (٤/ ٩٩).

اللهمّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ.

٣٠- الستر صفة الأنبياء، فهذا كما كان موسى عليه السلام، كما قال النبي ﷺ: «إن موسى كان رجلًا حييًا ستيرًا، لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يستتر هذا التستر، إلا من عيب بجلده: إما برص وإما أدرة: وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، فخلا يومًا وحده، فوضع

ثيابه على الحجر، ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل، فرأوه عريانًا أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضربا بعصاه» (رواه البخاري:٣٤٠٤).

اللهمّ أحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، وَأجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ.

المحافظة على الصلوات ومكارم الأخلاق ستر في الدنيا والآخرة

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ «أتاني اللَّيلةَ ربِّي تبارَكَ وتعالى في أحسَنِ صورةٍ، قالَ أحسبُهُ قال في المَنامِ فقالَ: يا محمَّدُ هل تدري فيمَ يختصمُ الملأُ الأعلى؟ قالَ: قلتُ: لا، قالَ: فوَضعَ يدَهُ بينَ كتفيَّ حتَّى وجَدتُ بَردَها بينَ ثدييَّ أو قالَ: في نحري، فعَلِمْتُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ، قالَ: يا مُحمَّدُ، هل تدري فيمَ يختصمُ الملأُ الأعلى؟ قلتُ: نعَم، في الكفَّاراتِ، والكفَّاراتُ المُكْثُ في المسجدِ بعدَ الصَّلاةِ، والمَشيُ على الأقدامِ إلى الجماعاتِ، وإسباغُ الوضوءِ في المَكارِهِ، ومن فَعلَ ذلِكَ عاشَ بخيرٍ وماتَ بخيرٍ، وَكانَ مِن خطيئتِهِ كيومِ ولدتهُ أمُّهُ، وقالَ: يا محمَّدُ، إذا صلَّيتَ فقل: اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ فِعلَ الخيراتِ، وتركَ المنكراتِ، وحُبَّ المساكينِ، وإذا أردتَ بعبادِكَ فتنةً فاقبِضني إليكَ غيرَ مَفتونٍ». (أخرجه الترمذي (٣٢٣٣)، وأحمد (٣٤٨٤)).

كوارث ما بعد التعري:

لا شك أن التعري يعد في حد ذاته كارثة عظيمة الأثر وخطيرة الويلات، حيث تتفرع منها عدة كوارث اجتماعية ونفسية معقدة ومتشابكة ذات عواقب وخيمة في الدنيا والآخرة كما هو ثابت بالقرآن والسُنة والإجماع. ومن بين هذه الكوارث الناتجة عن التعري الذي يخالف السليقة والفطرة التي جُبِل بنو آدم عليها، والتي تجعل الإنسان رجلًا كان أو امرأة يميل بطبيعته إلى التستر والاحتشام، وإخفاء العورات وباقي أجزاء الجسد الواجب سترها تجنبًا للوقوع في المعاصي والخطايا أو إحداث فِتَن لا حصر لها.

أولًا: الدعوة إلى التعري والتشجيع عليه: مَن ترتدي من الفتيات والنساء ملابس فاضحة وكاشفة لبعض أجزاء الجسد المأمور بإخفائها أمام القريب والغريب تسن بذلك سنة سيئة، إذ تغري بذلك العديد من بنات جلدتها ذوات النفوس المريضة والإيمان الضعيف، وتشجعهن على السير على دربها وتقليدها تقليدًا أعمى دون وعي وإدراك لخطورة هذا الأمر! قال رسول الله ﷺ: «**من سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيئًا**» (رواه مسلم).

ثانيًا: التعرض للتحرش الجنسي والمعاكسات والابتزاز: من أهم الأسباب المباشرة للتحرش الجنسي ارتداء الفتيات ملابس تظهر أكثر مما تبطن وتثير غرائز الشباب الضعيف الواقع في أسر البطالة والفراغ، وارتفاع الأسعار وغلاء المهور والفن الهابط بشتى صوره، مما يدفعهم إلى معاكستهن والتحرش بهن لفظًا أو فعلًا، وربما يصل الأمر إلى حد تصوير بعضهن بتلك الملابس من

خلال كاميرات الهواتف النقالة وتوزيع صورهن بعد القص واللصق على نطاق واسع، الأمر الذي يسبب لهن كثيرًا من المشكلات والفضائح التي يصعب مواجهتها في أحيان كثيرة.

ثالثًا: سوء الظن بمن تتعرى، وكيل الاتهامات لها: غالبًا ما ينظر الناس إلى من تتكشف وتتهاون في ستر جسدها نظرة دونية خالية من الاحترام وحسن الظن بها، بل ويكيل البعض لها ولمن على شاكلتها اتهامات بسوء سلوكها وخلقها، لدرجة تصل معها إلى حد الخوض في عرضها وسبها وقذفها والتشهير بها.

رابعًا: خراب البيوت والتفكك الأسري عقب الطلاق: تتساهل بعض النساء أثناء المناسبات السارة -خاصة حفلات الخِطبة والزواج- ويرتدين ملابس عارية وضيقة تظهر مفاتنهن وهن يرقصن ويغنين بحجة أنهن يجلسن مع النساء بعيدًا عن الرجال، غير منتبهات إلى أن بعض شياطين الإنس من الموجودات برفقتهن يمكنهن بسهولة نشر كل ما حدث أثناء العُرس من رقص وغناء وخلافه على نطاق واسع بالصوت والصورة، الأمر الذي يؤدي إلى خراب بيوتهن وتشتت أبنائهن بعد أن يطلقهن أزواجهن الذين لم يستطيعوا مواجهة من حولهم، خصوصًا بعد أن صارت صور زوجاتهم منتشرة على الإنترنت وسهلة التناول والتداول!

خامسًا: التشبه بالكافرات والفاجرات: من المعروف أن الملابس العارية في الغالب الأعم من تصميم وتفصيل الغرب الذي يتفنن بكل ما أوتي من وسائل في ابتكار أشكال وألوان جديدة لهذه الملابس الكاشفة لينبهر بها الشباب العربي

ذكورًا وإناثًا، فتنتشر بسببها الفواحش والمحرمات، وينشغلوا بها عن الالتفات إلى ما هو أنفع وأجدى للمساهمة في انتشال أمتهم العربية من حالة التخلف والغيبوبة التي تعيش فيها منذ زمن بعيد، وذلك بإلهائهم بآخر صيحات الموضة، وجعلهم دائمًا وأبدًا في حالة هوس وتطلع إلى شراء تلك الملابس التي لا تتفق وأبسط أبجديات الإسلام والعروبة! قال رسول الله ﷺ: «مَن تشبه بقوم فهو منهم» (رواه أحمد).

سادسًا: الإصابة بالحسد: يسهل على شياطين الإنس والجن إيذاء الغارقين في المعاصي والبعيدين عن ذكر الله، فما بالنا لو كانت المعصية هي التعري وإظهار المفاتن؟! كثيرًا ما تصاب بعض الفتيات بالحسد الذي ينتج عنه الإصابة بأمراض كثيرة يصل بعضها إلى حد الموت، وغالبًا ما يتم الحسد أثناء المناسبات السعيدة التي عادة ما تحرص الفتيات والنساء على الظهور فيها بأبهى صورة وأحسن منظر من وجهة نظرهن! بغية لفت الأنظار ونيل إعجاب جميع الحاضرين ومنهم بالطبع الحاسدون والحاسدات الذين يتمنون زوال النعمة عنهن -وما هي بنعمة- بل نقمة ينزل بسببها البلاء ويحل الداء الذي غالبًا ما يعجز عن شفائه الدواء.

عورة المرأة المسلمة أمام غير المسلمة

العورة في اللغة هي الشيء المعيب أو القبيح، وأصلها من العور وهو الشين والقبح.. والعورة في اصطلاح الفقهاء: تطلق على كل ما طلب الشارع ستره من جسد الرجل أو المرأة في الصلاة ونحوها، أو أمام الآخرين غير الزوج بضوابط خاصة، قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم: وتسمى العورات سوءة

لأنه يسوء صاحبها كشفها.. وقال في كتابه المجموع: إن ستر العورة ليس عبادة محضة بل المراد منه الصيانة عن العيون.

ويتحقق ستر العورة بكل ساتر لا يصف لون البشرة من بياض أو سواد؛ لأن الستر إنما يحصل بذلك، ولا يعتبر ألا يصف حجم العضو؛ لأنه لا يمكن التحرز عنه.

وذهب أكثر المحققين من الفقهاء إلى أن ستر العورة كان فى الشرائع السابقة من المروءات الإنسانية ولم يصبح واجبًا إلا في شريعتنا الإسلامية؛ استدلالًا بما أخرجه الشيخان عن أبى هريرة أن النبي ﷺ قال: «**كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى بعض، وكان موسى يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى إلا أنه آدر- أي عظيم الخصيتين- فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فخرج موسى في أثره يقول: ثوبي يا حجر حتى نظرت بنو إسرائيل إلى موسى فقالوا: والله ما بموسى من بأس، وأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربًا**».. يقول ابن حزم في هذا الخبر: إن بنى إسرائيل كانوا يغتسلون عراة وكان موسى يغتسل في الخلاء ولم يأت أنه نهاهم عن الاغتسال عراة فدل على مشروعية التكشف في شريعة موسى عليه السلام. ويقول ابن حجر: ظاهر الحديث أن التعري كان جائزًا في شرعهم وإلا لما أقرهم موسى على ذلك، وكان هو يغتسل وحده أخذًا بالأفضل.

وذهب بعض المحققين كابن بطال والإمام النووي إلى أن ستر العورة كان واجبًا فى كل دين غالبًا، قال ابن بطال: وما روى من تعرية بنى إسرائيل يدل على

أنهم كانوا عصاة على ذلك، وقال النووي: كانوا يتساهلون فيه كما يتساهل فيه كثيرون من أهل شرعنا.

وعورة الرجل والمرأة في الصلاة هي أكمل العورات في عموم الأحوال باعتبار شهود الملائكة للصلاة، والملائكة جنس يختلف عن جنس ولد آدم، فكانت حدود العورة المأمور بسترها فى الصلاة هى حدود العورة المأمور بسترها بين الأحرار من الرجال والنساء الأجانب؛ لما أخرجه مسلم من حديث جابر أن النبى ﷺ قال: «**إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الإنسان**».

أما فى غير الصلاة فإن حدود العورة المأمور بسترها والمنهى عن النظر إليها يختلف باختلاف أحوال الجنس والمحارم والسن والحرية، والذى يعنينا هنا هو حدود العورة مع اتحاد جنس الأنوثة بين المسلمات وغيرهن، حيث اختلف الفقهاء فى حدود عورة المرأة المسلمة أمام المرأة المسلمة أو غيرها على ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول: يرى أن حدود عورة المرأة المسلمة أمام المرأة المسلمة أو غير المسلمة من السرة إلى الركبة.. وهو أحد الوجهين عند الشافعية والمذهب عند الحنابلة.. وحجتهم: القياس على عورة الرجل بالنسبة إلى الرجل التى أجمع الفقهاء على أنها لا تختلف باختلاف صفة الإسلام وغيره.. وأن تحديدها بهذا القدر يرجع إلى ما أخرجه الدارقطنى وأحمد عن عبدالله بن عمر أن النبى ﷺ قال: «**ما تحت السرة إلى الركبة عورة**»، وما أخرجه أحمد والترمذى وحسنه عن جرهد أن النبى ﷺ مر به وهو كاشف عن فخذه فقال له: «**غط فخذك فإنها من العورة**».. قالوا: وإلى هذا التقدير فى العورة بين الرجال ذهب

جمهور الفقهاء من الحنفية والمشهور عند المالكية ومذهب الشافعية والمشهور عند الحنابلة. وإذا كان هذا مذهب الجمهور فى تقدير العورة بين الرجال فإنه يقاس عليه تقدير العورة بين النساء لاتحاد الجنس.

المذهب الثاني: يرى أن حدود عورة المرأة المسلمة أمام المرأة المسلمة أو غيرها تنحصر فى السوءتين فقط.. وهو رواية عند الحنابلة وإليه ذهب الظاهرية.. وحجتهم: القياس على عورة الرجل بالنسبة إلى الرجل التى أجمع الفقهاء على أنها لا تختلف باختلاف صفة الإسلام وغيره، وأن تحديدها بهذا القدر يرجع إلى ما أخرجه مسلم عن أنس بن مالك، أن النبى ﷺ حسر يوم خيبر الإزار عن فخذه حتى إنى لأنظر إلى بياض فخذه. وما أخرجه مسلم عن عبدالله بن الصامت أنه سأل أبا ذر فضرب على فخذه، وقال – أى أبو ذر – إنى سألت رسول الله ﷺ فضرب فخذى كما ضربت فخذك وقال: «صل الصلاة لوقتها فإن أدركتك الصلاة معهم فصل ولا تقل إنى قد صليت فلا أصلى».. قال ابن حزم: «فلو كان الفخذ عورة لما مسها رسول الله ﷺ من أبى ذر أصلًا بيده المقدسة، ولو كانت الفخذ عند أبى ذر عورة لما ضرب بيده، وما يستحل لمسلم أن يضرب بيده على ذكر إنسان على الثياب، ولا على حلقة دبر الإنسان لا على الثياب ولا على بدن امرأة أجنبية على الثياب البتة» قالوا: وإلى هذا التقدير فى العورة بين الرجال ذهب بعض المالكية والحنابلة فى رواية عندهما وهو اختيار أهل الظاهر، ويقاس عليه حد العورة بين النساء لاتحاد الجنس وأمن الفتنة.

المذهب الثالث: يرى اختلاف تحديد عورة المرأة المسلمة باختلاف دين المرأة الناظرة، فالعورة بين المسلمات تنحصر فيما بين السرة والركبة، وأما

عورة المرأة المسلمة بالنسبة إلى غير المسلمة فتعم كل الجسد إلا الوجه والكفين، وهذا مذهب الجمهور من الحنفية والمالكية والأصح عند الشافعية، وحجتهم: أن العورة بين المسلمات وبعضهن يرجع فى تحديدها إلى مبدأ اتحاد الجنس فيما بين الرجال المسلمين وبعضهم، أما تحديد العورة بين المسلمات وغيرهن فهى ما عدا الوجه والكفين لما يأتى:

١- عموم قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ [النور:٣١].

حيث خصت الآية الكريمة الحكم بالنساء المسلمات بقوله: «أو نسائهن»، فلو جاز إبداء الزينة أمام المرأة غير المسلمة لما بقى للتخصيص فائدة.

٢- ما أخرجه البيهقي والطبري من رواية قيس بن الحارث فى كتاب عمر بن الخطاب إلى أبى عبيدة يأمر فيه بمنع الكتابيات من دخول الحمام مع المسلمات وقال: «فإنه يحرم لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن ينظر إلى عورتها إلا أهل ملتها».

وقد اختار المصريون مذهب الحنابلة فى المشهور، وهو قول بعض الشافعية فى وجه ومذهب الظاهرية الذين لم يفرقوا فى عورة المرأة المسلمة بين النساء المسلمات أو غير المسلمات لاتحاد الجنس، وترك المصريون مذهب جمهور الفقهاء الذى يرى وجوب التفريق فى تحديد عورة المرأة المسلمة بين المسلمات وغير المسلمات، فلا يجيزون للمرأة غير المسلمة أن ترى من المرأة

المسلمة سوى الوجه والكفين، أما المسلمة فلها أن ترى من أختها ما يراه أهل المحارم بدون فتنة فيما عدا ما بين السرة والركبة.

ولم يكن ترك المصريين لمذهب الجمهور فى هذه المسألة تجرؤًا أو لمجرد المخالفة الفقهية، وإنما كان من باب قناعة المصريين بوجاهة منطق الحنابلة ومن وافقهم القول بعدم التفريق فى عورة المرأة المسلمة بين المسلمات أو غيرهن لأمن الفتنة مع بنات الجنس الواحد خاصة مع قول النبى ﷺ فيما أخرجه الإمام أحمد بإسناد حسن: «يا وابصة استفت قلبك وإن أفتاك الناس وأفتوك».

هذا بالإضافة إلى أن هذا القول المخالف للجمهور يحقق مصلحة عامة للمسلمين فى تواصل المسلمات ورفع الحرج عنهن فى التعامل مع غيرهن أو التعايش مع غير المسلمات فى المدن الجامعية النسائية ونحوها، وقد قال تعالى: «وما جعل عليكم فى الدين من حرج» (الحج:٧٨)

ستر عورات المسلمين والنهي عن إشاعتها لغير ضرورة

قال النووي رحمه الله: باب ستر عورات المسلمين والنهي عن إشاعتها لغير ضرورة.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النور:١٩].

قال سَماحة العلَّامةِ الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

قال المؤلف رحمه الله: باب ستر عورات المسلمين والنهي عن إشاعتها.

العورة هنا هي العورة المعنوية؛ لأن العورة نوعان: عورة حسية، وعورة معنوية.

فالعورة الحسية: هي ما يحرُم النظر إليه؛ كالقُبُل والدُّبُر، وما أشبه ذلك مما هو معروف في الفقه.

والعورة المعنوية: وهي العيب والسُّوء الخلُقي أو العملي.

ولا شك أن الإنسان كما وصفه الله ﷻ في قوله: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٢].

فالإنسان موصوف بهذين الوصفين: الظلم والجهل؛ فإما أن يرتكب الخطأ عن عمد؛ فيكون ظالما، وإما أن يرتكب الخطأ عن جهل؛ فيكون جهولًا، هذه حال الإنسان إلا من عصم الله عزَّ وجلَّ ووفقه للعلم والعدل، فإنه يمشي بالحق ويهدي إلى الحق.

وإذا كان الإنسان من طبيعته التقصيرُ والنقص والعيب؛ فإن الواجب على المسلم نحو أخيه أن يستر عورته ولا يشيعها إلا من ضرورة. فإذا دعت الضرورة إلى ذلك فلا بد منه، لكن بدون ضرورة فالأَولى والأفضل أن يستر عورة أخيه؛ لأن الإنسان بشرٌ ربما يخطئ عن شهوة - يعني عن إرادة سيئة - أو عن شُبهة، حيث يشتبه عليه الحقُّ فيقول بالباطل أو يعمل به، والمؤمن مأمور بأن يستر عورة أخيه.

هَبْ أنك رأيت رجلًا على كذب وغش في البيع والشراء، فلا تُفشِ ذلك بين الناس، بل انصحه واستُر عليه، فإنْ توفق واهتدى وترك ما هو عليه، كان ذلك هو المراد، وإلا وجب عليك أن تُبيِّن أمره للناس؛ لئلا يغترُّوا به.

وهب أنك وجدت إنسانًا مُبتلًى بالنظر إلى النساء، ولا يغض بصره، فاستُرْ عليه، وانصحه وبيِّنْ له أن هذا سهم من سهام إبليس؛ لأن النظر - والعياذ بالله - سهم من سهام إبليس يصيب به قلبَ العبد، فإن كان عنده مناعة، اعتصَم بالله من هذا السهم الذي ألقاه الشيطان في قلبه، وإن لم يكن عنده مناعة، أصابه السهم، وتدرَّج به إلى أن يصل إلى الفحشاء والمنكر والعياذ بالله فيكون أشد عذابًا.

فما دام الستر ممكنًا، ولم يكن في الكشف عن عورة أخيك مصلحةٌ راجحة أو ضرورة ملحة، فاستر عليه ولا تفضحه.

ثم استدلَّ المؤلف رحمه الله بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النور:١٩].

ولمحبة شيوع الفاحشة في الذين آمنوا معنيان:

المعنى الأول: أن يُحِبَّ شيوعَ الفاحشة في المجتمع المسلم، ومن ذلك من يبثُّون الأفلام الخليعة، والصحف الخبيثة الداعرة، فإن هؤلاء - لا شك - يحبون أن تشيع الفاحشة في المجتمع المسلم، ويريدون أن يفتتن المسلمُ في دينه بسبب ما يشاع من هذه المجلات، والأفلام الخليعة الفاسدة، أو ما أشبه ذلك.

وكذلك تمكين هؤلاء مع القدرة على منعهم داخلٌ في محبة ﴿أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [النور:١٩]، فالذي يقدر على منع هذه المجلات وهذه الأفلام الخليعة، ويمكِّن من شيوعها في المجتمع المسلم، فهو ممن يحب أن

تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ [النور:١٩]؛ أي: عذاب مؤلم في الدنيا والآخرة.

ونقول: إنه يجب على كل مسلم أن يحذر من هذه الصحف وأن يتجنبها، وألا يدخلها في البيت؛ لما فيها من الفساد: فساد الخلُق، ويتبعه فساد الدِّين؛ لأن الأخلاق إذا فسَدتْ، فسدت الأديان، نسأل الله العافية.

المعنى الثاني: أن يحب أن تشيع الفاحشة في شخص معيَّن، وليس في المجتمع الإسلامي كلِّه، فهذا أيضًا له عذاب أليم في الدنيا والآخرة، مثل أن يحب أن تشيع الفاحشة في زيدٍ من الناس لسببٍ ما، فهذا أيضًا له عذاب أليم في الدنيا الآخرة، لا سيما فيمن نزلت الآية في سياق الدفع عنه، وهي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها؛ لأن هذه الآية في سياق آيات الإفك، والإفك هو الكذب الذي افتراه من يكرهون النبيَّ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ومن يحبون أن يتدنَّس فراشه، ومن يحبون أن يُعيَّرَ بأهله من المنافقين وأمثالهم.

وقضية الإفك مشهورة، وهي أن النبي ﷺ كان إذا أراد سفرًا، أقرَعَ بين نسائه، وذلك من عدله عليه الصلاة السلام، فأيتهن خرج سهمُها خرَجَ بها، فأقرع بين نسائه ذات سفرة، فخرج السهم لعائشة، فخرج بها.

وفي أثناء رجوعهم عرَّسوا في أرضٍ، يعني ناموا في آخر الليل، فلما ناموا احتاجت عائشة رضي الله عنها أن تبرز لتقضي حاجتها، فأمَرَ النبي ﷺ بالرحيل في آخر الليل، فجاء القوم فحمَلوا هَوْدَجَها ولم يشعُروا أنها ليست فيه؛ لأنها كانت صغيرة لم يأخُذْها اللحم، فقد تزوَّجَها النبي ﷺ ولها ستُّ سنين، ودخل عليها

ولها تسع سنين، ومات عنها ولها ثماني عشرة سنة، فحمَلوا الهودج وظنوا أنها فيه ثم ساروا.

ولما رجعت لم تجد القوم في مكانهم، ولكن مِن عقلها وذكائها لم تذهب يمينًا وشمالًا تطلبهم؛ بل بقيت في مكانها وقالت: سيفقدونني ويرجعون إلى مكاني.

ولما طلعت الشمس إذا برجل يقال له: صفوان بن المُعَطِّل، وكان من قوم إذا ناموا لم يستيقظوا، كما هو حال بعض الناس الذين إذا ناموا لا يستيقظون، حتى ولو علت الأصوات من حوله، فكان صفوان من جملة هؤلاء القوم، فكان إذا نام تعمَّق في النوم، فلا يمكن أن يستيقظ إلا إذا أيقظه الله ﷻ كأنه ميِّت.

فلما استيقظ وجاء وإذا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وحدها في مكان في البرِّ، وكان يعرفها قبل أن ينزل الحجاب، فما كان منه إلا أن أناخ بعيره ولم يكلِّمها بكلمة، لم يقل لها: ما الذي أقعَدَكِ؟ أو لماذا؟

والسبب في أنه لم يتكلم هو احترامه لفراش رسول الله ﷺ، لا يريد أن يتكلم مع أهله بغيبته رضي الله عنه، فأناخ البعير ووضع يده على ركبة البعير، ولم يقل: اركبي، ولا تكلَّمَ بشيء، فركبتْ ثم ذهب بالبعير يقودها، ولم يكن يسوقها حتى لا ينظر إليها رضي الله عنه.

ولما أقبَلَ على القوم ضحًى وقد ارتفع النهار، فرح المنافقون أعظم فرح أن يجدوا مدخلًا للطعن في رسول الله ﷺ، فاتهَموا الرجلَ بالعفاف الرَّزانِ الطاهرة النقية فراش رسول الله ﷺ، اتهَموه بها وصاروا يشيعون الفاحشة بأن هذا الرجل فعَلَ ما فعل، وسقط في ذلك أيضًا ثلاثة من الصحابة الخُلَّص، وقعوا فيما وقع

فيه المنافقون، وهم: مِسطحُ بن أُثاثةَ ابن خالة أبي بكر، وحسان بن ثابت رضي الله عنهما، وحَمْنة بنت جحش.

فصارت ضجة، وصار الناس يتكلمون: ما هذا؟ وكيف يكون؟ مِن مشتبهٍ عليه الأمر، ومن منكِرٍ غاية الإنكار، وقالوا: لا يمكن أن يتدنَّس فراش رسول الله ﷺ؛ لأنه أطهر الفراش على وجه الأرض.

وأراد الله بعِزَّتِه وقدرته وحكمته لما وصل النبي ﷺ المدينة أن تمرض عائشة رضي الله عنها، وبقيت حبيسةَ البيت لا تخرُج، وكان النبي ﷺ من عادته إذا عادها في مرضها سأل وتكلَّم وتحفَّى، أما في ذلك الوقت فكان عليه الصلاة والسلام لا يتكلم، يأتي ويدخل ويقول: «كيف تيكم؟»؛ أي: كيف هذه؟ ثم ينصرف، وقد استنكرت ذلك منه رضي الله عنها، ولكنها ما كان يخطر ببالها أن أحدًا يتكلم في عِرضها بما فيه دنس فراش رسول الله ﷺ.

فقد أشاع المنافقون هذه الفِريةَ على الصدِّيقة بنت الصديق عائشة رضي الله عنها فراش رسول الله ﷺ، لا كراهة لذاتها؛ ولكن كراهة لرسول الله ﷺ، وبغضًا له، ومحبة في إيذائه وأن يدنِّس فراشه، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

ولكن الله تعالى أنزل في هذه القصةِ عشرَ آيات من القرآن، ابتدأها بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١﴾﴾ [النور:١١]، والذي تَوَلَّى كِبْرَهُ هو رأس المنافقين عبد الله بن أُبَيٍّ المنافقُ، فإنه هو الذي كان يشيع الخبر.

لكنه خبيث لا يشيعه بلفظ صريح فيقول مثلًا: إن فلانًا زنى بفلانة، لكنه يشيع ذلك بالتعريض والتلميح؛ كأن يقول: يُذكَر، يُقال، يقولون، وما أشبه ذلك؛

لأن المنافقين جبناء يتسترون ولا يصرحون بما في نفوسهم، فيقول ﷻ: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ [النور:١١-١٢].

وفي هذا توبيخ من الله ﷻ للذين تكلَّموا في هذا الأمر، يقول: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور:١١-١٢]؛ وذلك أن أمَّ المؤمنين أمُّهم، فكيف يظنون ما لا يليق بها رضي الله عنها؟! وكان الواجب عليهم لما سمعوا هذا الخبر أنْ ظنوا بأنفسهم خيرًا وتبرَّؤوا منه وممن قاله.

﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾ [النور:١٣]، يعني هلا جاؤوا عليه بأربعة شهداء يشهدون على هذا الأمر.

﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾ [النور:١٣] ولو صدَقوا؛ ولهذا لو أن شخصًا شاهد إنسانًا يزني، وجاء إلى القاضي وقال: أنا أشهد أن فلانًا يزني، قلنا: هاتِ أربعةَ شهداء، فإذا لم يأتِ بأربعة شهداء، جلَدْناه ثمانين جَلْدةً، فإن جاء برجل ثانٍ معه، جلَدْناهم كلَّ واحد ثمانين جلدة، وثالث أيضًا نجلد كلَّ واحد ثمانين جلدة.

فمثلًا لو جاءنا ثلاثة يشهدون بأنهم رأوا فلانًا يزني بفلانة، ولم يثبت ذلك، فإننا نجلد كلَّ واحد ثمانين جلدة؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [النور:١٣- ١٤].

لولا الفضل والرحمة من الله، لأصابكم فيما أفضتم فيه العقاب المذكور، وفي قوله: ﴿أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾ دليل على أن الحديث انتشر وفاض واستفاض

واشتهر؛ لأنه أمرٌ جلل عظيم خطير، وقد جَرَتِ العادة بأن الأمور الكبيرة تنتشر بسرعة، وتملأ البيوت، وتملأ الأفواه والآذان ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [النور:١٤-١٥].

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ من غير رَوِيَّه، ومن غير بيِّنة، ومن غير يقين، ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [النور:١٥]؛ لأنه قذف لأطهَرِ امرأة على وجه الأرض، هي وصاحباتها زوجات رسول الله ﷺ، فالأمر صعب وعظيم.

وفي ذلك أيضًا تدنيس لرسول الله ﷺ؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَـٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَـٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَـٰتِ﴾ [النور:٢٦].

فإذا كانت عائشة أم المؤمنين زوجُ رسول الله ﷺ يحصل منها هذا الأمر - وحاشاها منه - فإن ذلك يدلُّ على خبث زوجها والعياذ بالله؛ لأن الخبيثات للخبيثين، ولكنها رضي الله عنها طيِّبة، وزوجها طيِّب؛ فزوجُها محمدٌ رسولُ الله ﷺ، وهي الصدِّيقة بنت الصدِّيق رضي الله عنها وعن أبيها.

ولهذا يقول تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [النور:١٥]، ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ يعني: هلا إذ سمعتموه ﴿قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَـٰذَا سُبْحَـٰنَكَ هَـٰذَا بُهْتَـٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النور:١٦]، وهذا هو الواجب عليك؛ أن تُنزِّه الله أن يقع مثلُ هذا من زوج النبي ﷺ؛ ولهذا قال: ﴿سُبْحَـٰنَكَ هَـٰذَا بُهْتَـٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾.

وتأمَّل كيف جاءت هذه الكلمة التي تتضمن تنزيهَ الله ﷻ؛ إذ إنه لا يليق بحكمة الله ورحمته وفضله وإحسانه أن يقع مثلُ هذا من زوج رسول الله ﷺ، ثم قال تعالى: ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النور:١٧]، يعني لا تعودوا لمثل هذا أبدًا إن كنتم مؤمنين.

ثم قال تعالى: ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النور:١٨]، والحمد لله على بيانه؛ ولهذا أجمَعَ العلماء على أن من رمى أمَّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها بما جاء في حديث الإفك، فإنه كافر مرتدٌّ، كافر كالذي يسجد للصنم، فإن تاب وأكْذَبَ نفسَه، وإلا قُتِل كافرًا؛ لأنه كذَّب القرآن.

مع أن الصحيح أن من رمى زوجةً من زوجات الرسول ﷺ بمثل هذا، فإنه كافر؛ لأنه منتقص لرسول الله ﷺ، كل من رمى زوجة من زوجات الرسول بما برَّأ الله منه عائشة، فإنه يكون كافرًا مرتدًّا، يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قُتل بالسيف، وأُلقيتْ جيفته في حفرة من الأرض، بدون تغسيل، ولا تكفين، ولا صلاة؛ لأن الأمر خطير.

ثم قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [النور:١٩-٢٠].

وسبق أن أشرنا إلى أن ثلاثة من الصحابة الخُلَّص تورَّطوا في هذه القضية، وهم: حسان بن ثابت رضي الله عنه، ومسطح بن أثاثة، وهو ابن خالة أبي بكر، وحَمْنةُ بنت جحش، أختُ زينب بنت جحش، وزينبُ بنت جحش زوجُ الرسول ﷺ

وضَرَّةُ عائشة، ومع ذلك حماها الله، لكنَّ أختها تورَّطت، ولما أنزل الله براءتها، أمَرَ النبي ﷺ أن يُحَدَّ الثلاثة حدَّ القذف، فجُلِد كلُّ واحد ثمانين جلدة.

أما المنافقون، فلم يُقِمِ النبي ﷺ عليهم الحدَّ، واختلف العلماء في ذلك:

فقيل: لأن المنافقين لا يصرِّحون وإنما يقولون: يُقال، أو يُذكر، أو سمعنا، أو ما أشبه ذلك.

وقيل: لأن المنافق ليس أهلًا للتطهير؛ فالحدُّ طُهرةٌ للمحدود، وهؤلاء المنافقون ليسوا بأهل للتطهير؛ ولهذا لم يَجلِدْهم الرسول عليه الصلاة والسلام؛ لأنه لو جلَدَهم لَطهَّرَهم من موبق هذا الشيء، لكنهم ليسوا أهلًا للتطهير، فهم في الدَّرْك الأسفل من النار، فتركهم وذنوبَهم، فليس فيهم خير، وقيل غير ذلك.

وعلى كل حال، فإن هذه القصة قصة عظيمة، فيها عِبَرٌ كثيرة، والله الموفق.

المصدر «شرح رياض الصالحين» (٣/ ٥ - ١٤)

الضوابط في مسألة النظر للعورة في العلاج

أولا: عورة الرجل ما بين السرّة والركبة لقوله ﷺ: (ما بين السُّرَّة والركبة عورة) حديث حسن رواه أحمد وأبو داود والدار قطني. وهذا قول جمهور أهل العلم.

ثانيا: المرأة كلها عورة أمام الأجنبي لقوله تعالى: وإذا سألتموهنّ متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ولقوله ﷺ: (المرأة عورة) رواه الترمذي بسند صحيح وهذا القول هو الصحيح من المذهب عند الحنابلة وإحدى الروايتين عند المالكية وأحد القولين عند الشافعية.

ثالثا: تَعمّد النظر إلى العورات من المحرمات الشديدة ويجب غضّ البصر عنها لقوله تعالى: قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون. وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن.. الآية وقال النبي ﷺ: «**لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة..**» رواه مسلم وقال لعلي رضي الله عنه: «**لا تنظر إلى فخذ حيّ ولا ميّت**» رواه أبو داود وهو حديث صحيح

رابعا: كلّ ما لا يجوز النّظر إليه من العورات لا يحلّ مسّه ولو من وراء حائل وقد قال النبي ﷺ: «**إني لا أصافح النساء**» رواه مالك وأحمد وهو حديث صحيح، وقال: «**لأن يُطعن في رأس أحدكم بمِخْيَط من حديد خير له من أن يمسّ امرأة لا تحلّ له**» رواه الطبراني وهو حديث صحيح. قال النووي رحمه الله: وحيث حَرُم النظر حَرُم المسّ بطريق الأَوْلى، لأنه أبلغ لذّة.

خامسا: العورات أنواع ودرجات فمنها العورة المغلّظة (السوأتان: القُبُل والدُّبُر) والعورة المخففة كفخذي الرّجل أمام الرّجل.

والصغير دون سبع سنين لا حكم لعورته، والصغير المميِّز من السابعة إلى العاشرة عورته الفرجان، والصغيرة المميِّزة عورتها من السرّة إلى الركبة، (وكلّ ذلك عند أَمْن الفتنة) وعورة الميّت كعورة الحيّ، والأحوط إلحاق الخنثى بالمرأة في العورة لاحتمال كونه امرأة.

سادسا: الضرورات تبيح المحظورات، ولا خلاف بين العلماء في جواز نظر الطبيب إلى موضع المرض من المرأة عند الحاجة ضمن الضوابط الشرعية، وكذلك القول في نظر الطبيب إلى عورة الرجل المريض، فيباح له النظر إلى

موضع العلّة بقدر الحاجة، والمرأة الطبيبة في الحكم كالطبيب الرجل. وهذا الحكم مبني على ترجيح مصلحة حفظ النفس على مصلحة ستر العورة عند التعارض.

سابعا: " الضرورة تُقدَّر بقدرها ": فإذا جاز النظر والكشف واللمس وغيرها من دواعي العلاج لدفع الضرورة والحاجة القويّة فإنه لا يجوز بحال من الأحوال التعدّي وترك مراعاة الضوابط الشرعية ومن هذه الضوابط ما يلي:

١- يقدّم في علاج الرجال الرجال وفي علاج النساء النساء وعند الكشف على المريضة تُقدّم الطبيبة المسلمة صاحبة الكفاية ثمّ الطبيبة الكافرة ثمّ الطبيب المسلم ثمّ الطبيب الكافر، وكذلك إذا كانت تكفي الطبيبة العامة فلا يكشف الطبيب ولو كان مختصا، وإذا احتيج إلى مختصة من النساء فلم توجد جاز الكشف عند الطبيب المختص، وإذا كانت المختصة لا تكفي للعلاج وكانت الحالة تستدعي تدخّل الطبيب الحاذق الماهر الخبير جاز ذلك، وعند وجود طبيب مختص يتفوّق على الطبيبة في المهارة والخبرة فلا يُلجأ إليه إلا إذا كانت الحالة تستلزم هذا القدر الزائد من الخبرة والمهارة. وكذلك يُشترط في معالجة المرأة للرجل أن لايكون هناك رجل يستطيع أن يقوم بالمعالجة.

٢- لا يجوز تجاوز الموضع اللازم للكشف فيقتصر على الموضع الذي تدعو الحاجة إلى النظر إليه فقط، ويجتهد مع ذلك في غضّ بصره ما أمكن، وعليه أن يشعر أنه يفعل شيئا هو في الأصل محرّم وأن يستغفر الله عما يمكن أن يكون حصل من التجاوز.

٣- إذا كان وصف المرض كافيا فلا يجوز الكشف وإذا أمكن معاينة موضع المرض بالنظر فقط فلا يجوز اللمس وإذا كان يكفي اللمس بحائل فلا يجوز اللمس بغير حائل وهكذا.

٤- يُشترط لمعالجة الطبيب المرأة أن لا يكون ذلك بخلوة فلا بدّ أن يكون مع المرأة زوجها أو محرمها أو امرأة أخرى من الثقات.

٥- أن يكون الطبيب أمينا غير متهم في خلقه ودينه ويكفي في ذلك حمل الناس على ظاهرهم.

٦- كلما غَلُظت العورة كان التشديد أكثر قال صاحب كفاية الأخيار: واعلم أن أصل الحاجة كان في النظر إلى الوجه واليدين، وفي النظر إلى بقية الأعضاء يُعتبر تأكّد الحاجة، وفي النظر إلى السوأتين يُعتبر مزيد تأكُّد الحاجة. ولذلك لا بدّ من التشديد البالغ في مثل حالات التوليد وختان الإناث اليافعات.

٧- أن تكون الحاجة إلى العلاج ماسة كمرض أو وجع لا يُحتمل أو هُزال يُخشى منه ونحو ذلك أما إذا لم يكن مرض أو ضرورة فلا يجوز الكشف عن العورات كما في حالات التوهّم والأمور التحسينية.

٨- كلّ ما تقدّم مُقيّد بأمن الفتنة وثوَران الشهوة من كلّ من طرفي عملية المعالجة.

وختاما فإنه لا بدّ من تقوى الله في هذه المسألة العظيمة التي احتاطت لها الشريعة وجعلت لها أحكاما واضحة وحازمة. وإن مما عمّت به البلوى في هذا الزمان التساهل في مسائل الكشف عن العورات في العيادات والمستشفيات وكأن الطبيب يجوز له كلّ شييء ويحلّ عنده كلّ محظور. وكذلك ما وقع في

البرامج التعليمية المأخوذة نسخة طبق الأصل مما هو موجود في بلاد الكفّار تشبها بهم من التساهل في عدد من حالات التعليم والتدريب والاختبار.

وواجب على المسلمين الاعتناء بتخريج النساء من أهل الكفاية في التخصصات المختلفة للقيام بالواجب، وحسن إعداد جداول المناوبات في المستوصفات والمستشفيات لئلا تقع نساء المسلمين في الحرج، وأن لا تُهمل المريضة أو يتبرّم منها الطبيب إذا طلبت طبيبة لعلاجها.

والله المسؤول أن يفقهنا في الدين وأن يعيننا على القيام بأحكام الشريعة ورعاية حقوق المسلمين.

من المروءات ستر العورات[١]

عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كلُّ أمَّتي مُعافًى إلا المُجاهرين، وإن مِن المجانةِ أن يعمل الرجل بالليل عملًا، ثم يُصبح - وقد ستره الله - فيقول: يا فلانُ، عَمِلتُ البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربُّه، ويصبح يكشف سِتر الله عنه**»؛ رواه الشيخان[٢].

وعنه رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**لا يَسترُ الله على عبدٍ في الدنيا، إلا سَتَرَه الله يومَ القيامة**»[٣].

(١) مجلة الأزهر، العدد الخامس، المجلد الثامن عشر (١٣٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٦٩) في كتاب الأدب، واللفظ له، ومسلم (٢٩٩٠) في الزهد والرقائق.

(٣) أخرجه مسلم ٧١ - (٢٥٩٠).

وعنه أيضًا عن النبيِّ ﷺ قال: «لا يَستُر عبدٌ عبدًا في الدنيا، إلا سَتَره الله يوم القيامة»؛ رواهما مسلم[1].

المفردات:

المَجَانة: تركُ المبالاة بالقول والفعل، وأصلُها من المجون، وهو الغِلظُ والصَّلابة، كأنَّ الماجن - وهو الهازل المُسْتَهتِر - صُلْب الوجه غليظُه، وأكثر ما تكون المجانة بالليل، فلذا قُيِّدت به.

والبارحة: أقربُ ليلةٍ مَضَتْ من وقت القول، مِن برح مكانه: إذا زال عنه.

وكذا وكذا: كناية عن المعصية التي جَاهَر بها الماجن، فاسْتَوجب سَخَط الله، وَحُرِم معافاته ومغفرته.

الهمُّ بالمعصية بين داعي العقل وداعي الهوى والشهوة:

داعيان قويَّان يتجاذبان المرء حينما يَهم بمعصية: داعي العقل والحكمة، وداعي الهوى والشهوة، وليغلبنَّ المرءَ ويظفرنَّ به أيُّهما أشدُّ عليه وأقوى، ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء:٢٨].

وليس بضائر العبد، ولا بقادحٍ في إيمانه ويقينه - أن تزِلَّ قدمه، أو تغلبه خطيئتُه، فإنه ليس في الناس معصومٌ كائنًا من كان، حاشا النبيِّين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

(١) أخرجه مسلم ٧٢ - (٢٥٩٠).

المجاهرة بالمعصية والاستهتار بالخطيئة:

وإنما يضيرُ العبد، ويُضعف إيمانه أن يجمعَ إلى جُرمه جرمًا آخر أفظع منه وأنكى، وهو مجاهرته بجريمته، وانتهاكه لحرماتِ الله عزَّ وجل، على مرأى من الناس ومَسْمَع، وفي غير استحياءٍ من الله وعباده!

وقد يستر الله هذا الآثم، فلا يُطلع على جريرته أحدًا من خلقه، فَضْلًا منه ونعمة، أو بلاء ومحنة، ثمَّ يأبى عليه جحوده وقِحَتُه إلا أن يتحدَّث إلى إخوان الشياطين وجُلساء السُّوء بما سَوَّلت له نفسه، وزيَّن له شيطانه، غير آسفٍ ولا مُستغفر! وكيف وهو فخورٌ بما أسلف، ومُعْجَبٌ بما اقْتَرف، وكأنه يقول: إنْ فاتكم أن تشهدوا المَخزاة عِيانًا، فلن يَفوتكم نعتها كأنكم رأيتموها؟!

ضربٌ من ضروب الإجهار بالمعصية، والاستهتار بالخطيئة، بل أثرٌ من آثار لُؤْم الطبع، ودَنس النفس، وفساد الفطرة!

وحقيقٌ بهذا المجاهر الأثيم ألا ينظر الله إليه، وألا يرحمه على سَعَةِ رحمته ومغفرته، وأنْ يُخْزِيَه في الدنيا والآخرة؛ جزاء ما عاند وأفسد، ومزَّق من ستْر الله، وحرَّض عباده على انتهاك حِماه، «... **ألا وإنَّ لكلِّ ملك حمًى، ألا وإنَّ حِمى الله في أرضه محارمه**»[1].

---

(١) اقتباس من حديث أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

الجزاء من جنس العمل:

وأمَّا من زلَّتْ به قدمُه، فاسْتَتَر في خطيئته بستر الله عزَّ وجل، فقد بشَّره الصَّادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه، بأن يسترَه الله في الآخرة كما سَتَره في الأولى، وأن يشملَه بعفوه ومغفرته.

روى الشيخان في حديث النَّجْوى[1] عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الله يُدْني المؤمن، فيضعُ عليه كنَفَه، وَيَسْتُرُه[2]، فيقول: أتعْرفُ ذنبَ كذا؟ أتعْرفُ ذنبَ كذا؟ فيقول: نعم، أيْ ربِّ، حتى إذا قرَّره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هَلَك، قال: سَتَرتُها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم»[3].

ويُؤْثر عن عليٍّ رضي الله عنه قال: مَنْ أذنب ذنبًا، فستره الله في الدنيا، فالله أكرم من أن يكشف ستره في الآخرة، ومن أذنب ذنبًا، فعوقِب عليه في الدنيا، فالله تعالى أعدل من أن يُثنِّيَ عقوبته في الآخرة.

استحياء العبد من المجاهرة بالمعاصي:

وإنما كان المُتَستِّر بالمعصيةِ خَليقًا بمعافاة الله وسَتْره؛ لأن فيه بقيةً من الحياء، إنْ لم يكن من الله فمن خلقه، ومن استحيا من الناس أوشك أن يستحييَ من الله، والحياءُ لا يأتي إلا بخير، وحَسْبك أنه شُعبة من الإيمان.

---

(١) أي: مناجاة الله تعالى لعبده في السرِّ؛ حيث تشملُه رحمته، وتحيطُ به عنايته، فالقرب هنا قربُ رحمةٍ وكرامة (طه).

(٢) كنفه: قال في "الفتح" ١٠:٤٨٨: "الكنف: الستر، وهو المراد هنا"، وقال النووي في "شرح مسلم" ١٧:٨٦: "المرادُ بالدنوِّ هنا: دُنُوُّ كرامةٍ وإحسانٍ، لا دُنُوُّ مسافة، والله تعالى مُنَزَّه عن المسافة وقُربها".

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨).

واستحياء العبد من الإجهار بالمعاصي دليلٌ على أنه يبغضها ويَمقتها، ويستقذر أن يراه الناس عليها، ومن استقذر المعصية فهو حريٌّ بأن يُقلَّ من غِشيانها إن لم يُقلعْ عنها، ثم هو منكسر النفس عند المعصية، منقبض الصَّدر منها، قريب الندم والتوبة؛ لأنه لم يَمْرُن عليها مَرانة المستهترين(١)، ولم يَمرُد عليها مَرادة الماجنين الآثمين.

والمُتَستِّر بعد هذا كلِّه لم يُحرِّض على المعاصي أحدًا، وشُؤْمُ معصيته على نفسه خاصَّة، فكان أخفَّ من المُتَهتِّك ضررًا، وأقلَّ وِزْرًا، وأضعفَ أثرًا.

ولا يَحسبنَّ أحدٌ أنَّ رسول الله ﷺ -وحاشاه- يُقنِّط مجاهرًا من رحمة ربه، أو يعفي مُتستِّرًا من تَبِعة ذنبه، ولكن يُبيِّن ما للمجاهرة بالمعاصي من سوء العاقبة، وما للتستُّر والحياء من كريم الأَثَر، وعسى أن يَستحييَ مجاهرٌ، أو يُنيب إلى ربِّه مُسْتترٌ.

---

(١) المُسْتَهْتِر: كثير الأباطيل؛ كما جاء في "اللسان" و"التاج"، أو: يتَّبع هواه فلا يبالي بما يفعل؛ كما جاء في "المصباح" والفعل: "اسْتُهْتِرَ" من الأفعال المبنية للمجهول؛ كما في "معجم الأخطاء الشائعة"؛ للأستاذ محمد العدناني ص٢٥٧.

وجوب ستر المسلم على أخيه المسلم:

ومن الحقِّ المحتوم للمُتستِّر على أخيه المسلم ألا يَهتك سِترَه، وألا يُفشي سِرَّه، سواء أَوَقف على زلَّته أثناء اقْترافها، أم علم بها بعد انقضائها؛ والله ستِّيرٌ يحب السَّتر[1]، ويُجزى عليه بمثله في الدنيا والآخرة، والجزاءُ من جنس العمل.

غير أنَّ ستر المسلمِ على أخيه لا يَمنعه من النُّصح له، وتغيير المنكر الذي ارتكبه، والحَيْلولة بينه وبين صاحبه ما استطاع إلى ذلك سبيلًا؛ فإنَّ هذا من الحقوق المحتومة عليه كذلك.

ومثلُ هذا الستر الذي اقترن بالنصيحة، هو الذي رغَّب فيه النبيُّ ﷺ -حفظًا لحرمة المؤمن- وقال فيه كما روى أبو داود وغيره عن عُقبة بن عامر رضي الله عنه: «من رأى عورةً فَسَتَرها، كان كَمَنْ أحيا مَوْؤُودَةً»[2].

---

(١) اقتباس من حديث أخرجه أحمد ٤:٢٢٣(١٧٩٧٠)، وأبو داود (٤٠١٢)، والنسائي (٤٠٧) من حديث يعلى بن أميَّة عن النبيِّ ﷺ، ولفظه عند أحمد بسنده عن صفوان بن يعلى بن أمية عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله حَيِيٌّ سِتِّيرٌ، فإذا أراد أحدكم أن يغتسل، فليتوارَ بشيء».

وأخرجه أبو داود (٤٠١٣)، والنسائي (٤٠٦) من حديث يعلى بن أمية بلفظ: «إن الله عز وجل حليم حَيِيٌّ ستِّير يحب الحياء والسَّتر، فإذا اغتسل أحدكم فليَسْتتر».

ومما ينبَّه إليه أن الأستاذ عبد القادر أرناؤوط سمَّى يعلى في "جامع الأصول" ٧:٣٠٠: يعلى بن شدَّاد بن أوس، وهو يعلى بن أمية التميمي كما جاء في مصادر الحديث، من رواية ابنه صفوان عنه، ثم إنَّ يعلى بن شداد ليس من رجال النسائي كما في "الكاشف" للذهبي (٦٤١٤).

(٢) أخرجه أحمد ٤:١٤٧ (١٧٣٣١) و(١٧٣٣٢)، و٤:١٥٣ (١٧٣٩٥)، وأبو داود (٤٨٩١)، والنسائي في السنن الكبرى (٧٢٤١)، (٧٢٤٢) وهو حديث ضعيف الإسناد لسوء حفظ أحد رجاله، وهو ابن لهيعة، وجهالة آخر، وهو: كثير أبو الهيثم مولى عُقبة بن عامر الجهني.

وإنما كان السَّتر كذلك؛ لأنه أحيا صاحب العورة حياةً أدبية كريمة، وأنقذه من بلاء يكاد يَمْحَقُه، كَمَنْ أنقذ البُنيَّة التي كان العرب يدفنونها حيَّة، خشيةَ إملاقٍ أو فضيحة، وربَّما كانت الحياة الأدبيَّة أغلى من الحياة النفسيَّة، فكثيرًا ما تهون النفس في سبيل الشَّرف والكرامة!

التحذير من تتبُّع العورات والبحث عنها:

وإذا كان كشفُ عورة المؤمن قِحَةً وجُرمًا، فأشدُّ منها وقاحةً وجريمة تلمُّسها وتتبُّعها والبحثُ عنها؛ إجابةً لداعي الهوى، وإشباعًا لنَهَم الشهوة، وإشاعةً للسوء والقالة في المؤمنين الغافلين، وفي هؤلاء ينادي النبيُّ ﷺ من فوق منبره بصوت رفيع، فيقول: «**يا معشر مَنْ أسلم بلسانه ولم يُفْضِ الإيمانُ إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين، ولا تُعيِّروهم، ولا تَتَبَّعُوا عَوْراتهم، فإنَّه من تَتَبَّع عَوْرةَ أخيه المسلم، تَتَبَّع الله عَوْرتَه، ومَن تَتَبَّع الله عوْرَته، يَفضَحْه ولو في جَوْف رَحْله**»[(١)]؛ أخرجه الترمذي وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما.

كشف الستر بين المصلحة والمفسدة:

على أنَّ العورة التي أُمرنا بسترها هي التي يكون في دفنها مصلحةٌ أرجح من مصلحةِ كشفها، أمَّا إذا كان في كتمانها مَفْسدةٌ مظنونة أو محقَّقة - كَمَنْ رأى آخر يسفك دمًا، أو ينتهك عرضًا، أو ينتهب مالًا، ولم يكفَّ إلا بكشف أمره، وإظهار

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٣٢)، وابن حبان في "صحيحه" (٥٧٦٣) إلا أنه قال فيه: «يا معشر من أسلم بلسانِهِ، ولم يَدْخُل الإيمانُ قلبه: لا تؤذوا المسلمين، ولا تُعيِّروهم، ولا تطلبوا عثراتهم».

جُرمه - فإنَّ على مَن اطَّلع عليه حينئذ أن يُذيع سرَّه، ويُطلع الحاكم عليه؛ حَقْنًا للدماء، وصَوْنًا للأعراض، وحفظًا للأموال، وتأديبًا للمفسدين في الأرض.

وكذلك مَنْ بلغه أن فلانًا سيرتكب جريمة مُفسدةً، كان حقًّا عليه أن يعمل ما في وسعه للحَيْلولة بين المجرم وجريمته، فليست المحافظة على هذا المجرم بأَوْلى من العناية بذلك الوادع الآمن، وليس هذا مقام الإفاضة في أحكام الشريعة، وحِكَمِها البليغة، وأسرارها الدقيقة.. .

وأحقُّ الناس بأن نسترَ عوراتهم، ونغفرَ زلَّاتهم، ونكفَّ عن مساويهم إن لم نذكرْ محاسنهم، أولئك الذين ترحَّلوا عنَّا إلى ربِّهم، وهو أعلم بهم.

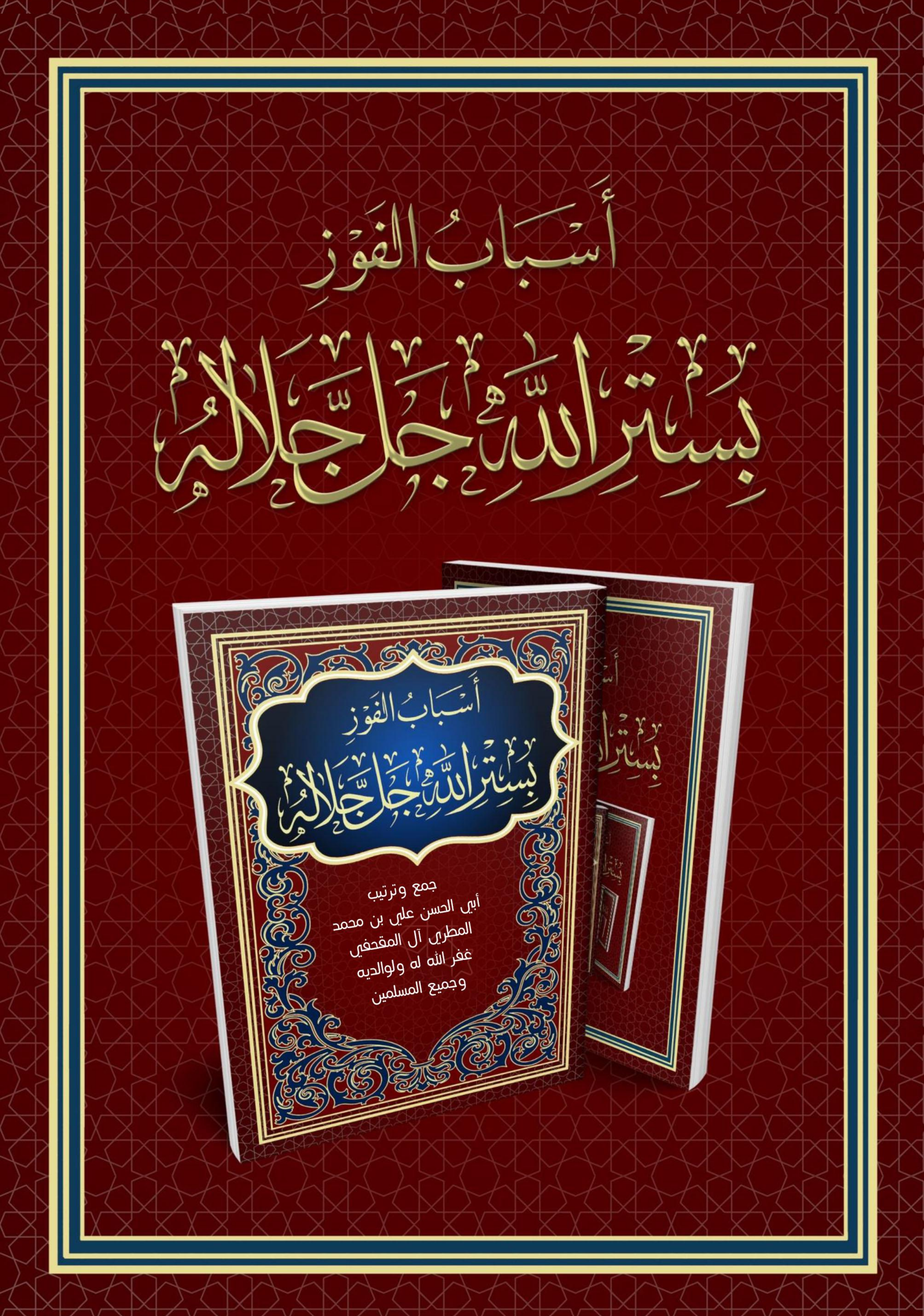
وقد رُوي عن عائشة ﵂ قالت: قال النبيُّ ﷺ: «**لا تسُبُّوا الأموات؛ فإنهم قد أفْضَوا إلى ما قدَّموا**»[1].

وبعدُ فهذه حَسَنةٌ من حَسَنات الإسلام، وأَثارةٌ من هديه ﵊، في سَترِ عورات المؤمنين والمؤمنات ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ﴾ [المائدة:٥١].

فطوبى لِمَنْ شَغَلَه عيبُهُ عن عيوب الناس، وكفَّ لسانَه إلَّا عن خير، وعلِمَ أنَّ وقته - وهو رأس ماله - لا يتَّسع للواجبات، فَضْلًا عن الهنات والمُهاترات، ثمَّ وقف قليلًا عند ما قال بعض السلف: "أدركنا أقوامًا لم تكن لهم عيوب فذكروا عيوب الناس، فذكر الناس لهم عيوبًا، وأدركنا أقوامًا كانت لهم عيوبٌ، فكفُّوا عن عيوب الناس، فَنُسِيَتْ عيوبُهم"، والله المستعان.

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٣).

فهرس المحتويات


أَسبابُ الفَوزِ
بِستِرِ اللهِ جلَّ جلالُهُ
أَسبابُ الفَوزِ
بِستِرِ اللهِ جلَّ جلالُهُ
جمع وترتيب
أبي الحسن علي بن محمد
المطري آل المقحفي
غفر الله له ولوالديه
وجميع المسلمين